KÖPRÜLÜ KÜT.
132

KÖPRÜLÜ KÜT.
132

الكشاف

عن حقائق التنزيل

تصنيف الأستاذ الإمام البارع المبجل العلامة جار الله

الكبير أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري شكر الله سعيه

من كتب الراجي عفو ربه الغني

حسين بن عبد الله بن حسين

الطيبي

١٤٢

[illegible]

محمد پاشا قبرسی

١٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا
ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وما أهلكنا
من قرية إلا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة
أجلها وما يستأخرون تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة
من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك
آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع

للكمال والغرابة في البيان قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما بالضم والفتح مع
التخفيف **فإن قلت** لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي **قلت**
لأن المترقب في إخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود
فإن قلت متى تكون ودادتهم **قلت** عند الموت أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم
وحال المسلمين وقيل إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضا باب من الودادة
فإن قلت فما معنى التقليل **قلت** هو وارد على مذهب العرب في قولهم
لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على ما فعلت ولا يشكون في تندمه
ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل
هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن
ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة
فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم
وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف
بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون
مبهوتين فإن كانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم
يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة
والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم

لطول اعمارهم واستقامة احوالهم وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون
سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجي منهم الا ما هم فيه
وانهم لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل
الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان
يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة
في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يودي اليه طول الامل
وهو هجيري اكثر الناس ليس من اخلاق المومنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا
من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط الواو بينهما
كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة
بالموصوف كما يقال في الحال جاني زيد عليه ثوب وجاني وعليه ثوب كتاب معلوم
مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة
اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون
بحذف عنه لانه معلوم

وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر
انك لمجنون لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين

ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين

قرا الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء
كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر
عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جا
في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا
في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لوما ركبت لو مع لا وما
لمعنيين معنى امتناع الشي لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها
للتحضيض قال ابن مقبل

لوما الحيا ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري

والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا
كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها قرئ ما تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول ونزل وننزل
الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم
عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون
عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق
الوحي او العذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا

الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم قوله تعالى

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون

انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القران الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده اية لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة

ومعنى ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته قوله تعالى

كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين

وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك

مكذبا مستهزءا

ونحوه نسلكه الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا
به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل
هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية • ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال
اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه • سنة الاولين طريقتهم التي سنها
الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة
على تكذيبهم • قرئ يعرجون بالضم والكسر • سكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر
او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر
اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو
فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا
لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو
اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم
بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس
الا تسكيرا للابصار • من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلم منعوا من ثلث سموات فلما
ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين

قوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها

السكر بالكسر العرم والسكر بالفتح مصدر سكرت النهر اسكره

رواسى وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا
لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من
شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم

موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن
وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرهما
معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمز او
اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه • ومن لستم له برازقين او جعلنا لكم معا
يش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان
الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه
وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور وذكر
الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام
به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور

وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه

عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين

وما أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون

لواقح فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي
لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح
يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما أنتم له بخازنين نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن
الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين
دلالة على عظيم قدرته وإظهارا لعجزهم ونحن الوارثون أي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل
للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه
واجعله الوارث منا

كأنها هي التي تلقح لما كانت سببا
للإلقاح كقولهم قام الأمير الجند
وبنى الأمير المدينة ففي الوجه
الأول إسناد مجازي وفي الثاني
حذف الزوائد وقيل الوجه
الصحيح في لواقح وطوائح أن توصف
الرياح والحوادث بصفة ما هي أسباب
له وملتبسة به من حيث السببية
كقوله إذا رد عافي القدر من
يستعيرها ونحوه عقاب التهم
يقال الرياح لواقح ولا يقال ملاقح
وهو من النوادر وقيل الأصل
فيه ملقحة ولكنها لا تلقح إلا
وهي في نفسها لاقح كأن الرياح لقحت
بخير فإذا أنشأت السحاب وفيها
خير وصل ذلك إليه

قوله تعالى

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم

ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الأولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف
الجماعة والمستأخرين وروي أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه

بعض ح

وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم أي هو وحده
القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم إنه حكيم
عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علما بكل شيء

ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون
والجان خلقناه من قبل من نار السموم وإذ قال ربك
للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون

الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار قالوا إذا توهمت
في صوته مدا فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن
والحمأ الطين الأسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه (أي صورته) وقيل المصبوب المفرغ أي أفرغ
صور إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر
على الحجر إذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون إلا منتنا من حمإ صفة
ل... أي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال
... فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غيره بعد
... والجان للجن كآدم للناس وقيل هو إبليس وقرأ الحسن وعمرو

قال ذو الرمة
تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها
خال ولا ندب

ابن عبيد رحمهما الله والجان أبا الجن من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان **قوله تعالى**

فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن
يكون مع الساجدين قال يا إبليس ما لك ألا تكون
مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من
صلصال من حمإ مسنون

وإذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته
عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها
لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي وأحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لتحصيل
ما يحيا به فيه واستثنى إبليس من الملائكة لأنه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب
كقولك رأيتهم إلا هندا وأبى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عن
وقيل معناه ولكن إبليس أبى حرف الجر مع أن محذوف تقديره ما لك في أن لا تكون مع الساجدين
غرض لك في إبائك السجود وأي داع لك إليه اللام في لأسجد لتأكيد النفي ومعناه لا

قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك
اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني
إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى
يوم الوقت المعلوم رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب
أو مطرود من رحمة الله لأن من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لأن اللعن هو الطرد
من الرحمة والإبعاد منها والضمير في منها راجع إلى الجنة أو السماء أو إلى جملة الملائكة وضرب
يوم الدين حد اللعنة إما لأنه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والأرض
في التأبيد وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والأرض إلى يوم الدين
من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون
ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة
البلاغة وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم
البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف

باللعن

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ

هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ

عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ

بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزيّننّ والمعنى اقسم باغوائك
اياي لأزيننّ لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه اياه لغيه بان امره بالسجود لادم عليه السلم
فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع
لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى برئ من غيه ومن ارادته
والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لأزيننّ قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان
احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون
قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلنّ بهم
نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب

هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه
او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السما فانا على التزيين
لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلنّ مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعنّ تزييني فيها
اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة
ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده
لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على
عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ عليٌّ وهو من علو الشرف والفضل

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ

أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ

آمِنِينَ

لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها

اي عند الفقهاء الاقسام
بالصفة يمين والاقسام بالفعل
ليس بيمين لانه غير متعارف

اوله
وان تعتذر بالمحل من ذي ضروعها الى الضيف يجرح في
عراقيبها نصلي

هذا مبني على اصل وهو ان المفعول به كثيرا يحذف
الكلام اما للقصد الى مجرد الاختصار
عن ذكره نحو قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء
اذ لا شبهة ان المراد لمن يشاء رزقه ويقدر الرزق
من موصول صلته يشاء ولا بد للصلة من ذكر يعود منها
واما للقصد الى التعميم مع الاختصار نحو فلان يعطي
فلو ذهبت الى انهم يعنون يعطي شيئا دون شيء من المفعول
المحذوف فيه نعطي كذبت واذهبت حلاوة الكلام
واما للقصد الى نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم
ذهابا في نحو فلان يعطي الى انه يوجد منه هذا
وهو الاعطاء للمبالغة والدليل على تنزيل المتعدي منزلة
اللازم قوله تعالى واصلح لي في ذريتي لان ما عدى
بفي كما يعدى اللازم بالجار في ذهب بزيد ومعناه
ولجعل الصلاح في ذريتي وكذا في البيت
متعد وقد عدي بفي كان حقها ان يقول يجرح
عراقيبها والضمير في تعتذر للناقة والباء بالمحل
الاداة لا للظرف والمراد بذي ضروعها اللبن
يجعل الجرح في عراقيبها سيفي اي اذبحها بسيفي
لاجل الضيف

وأدراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس

للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية

ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم

اللظى النار ولظى ايضا اسم من اسماء النار معرفة لا تنصرف

لانها تحطم ما القي فيها

للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزؤ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري

جزّ بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم

وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف ق المتقي على الإطلاق

من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر والفواحش ولهم

ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها و ادخلوها على إرادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام

سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملايكة

ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر

متقابلين ۝ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ۝

الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان في الدنيا غل

تغلغل الماء في الشجر اذا تخللها وغله فانغل اي ادخله فدخل

على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو أن أكون أنا

وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الأعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال

له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن أخي أما والله اني لأرجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى فيهم

ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قايل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان

واحد فقال فلمن هذه الآية لا أم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على

الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب و إخوانا نصب على الحال

وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون

الاسرة جمع سرير كسرر

في جميع أحوالهم متقابلين

نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ۝ وأن

عذابي هو العذاب الأليم ۝ ونبئهم

عن ضيف إبراهيم ۝ إذ دخلوا عليه فقالوا

قالوا لا توجل

سلاما قال إنا منكم وجلون ۝ قالوا لا توجل

إنا نبشرك بغلام عليم ۝ قال أبشرتموني على
أن مسني الكبر فبم تبشرون ۝ قالوا بشرناك
بالحق فلا تكن من القانطين ۝ قال
ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون

لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس
وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي
ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه
من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما
او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا
بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه
وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف
انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل ارادوا انك بمثابة الآمن المبشر

فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر
في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي
اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني
لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة
لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به
لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين
الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد
ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها
على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرونن بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من
من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث في النون اراد ومن
يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن
استبعادا له في العادة التي اجراها الله

الاستفهام بمعنى الانكار كقوله ومن اوفى بعهده من الله

قال فما خطبكم أيها المرسلون ۝ قالوا إنا

أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۝ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ
أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ۝

فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت
لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام
فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا
كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت
نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم
المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال
الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا
قوما مجرمين ولكن آل لوط نجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال
وعلى ان الملايكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هولا وينجوا هولا فلا يكون الارسال
مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم
بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثنا جرى مجرى خبر لكن في الاتصا ل

بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابرهيم
صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا
امرأته مم استثنى وهل هو استثنا من استثناء قلت استثنى من الضمير
المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثنا من الاستثنا في شي لان الاستثنا من الاستثناء
انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد
الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي
عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الاية فقد اختلف الحكمان لان آل لوط متعلق
بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثنا وقرى
لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله
قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصايص افعال القلوب قلت لتضمن فعل
التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلما تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت
فلم اسند الملايكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله
قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول
خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما
يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرى قدرنا بالتخفيف

كان الاصل قدرناها من الغابرين المفعول الاول هو الضمير المنصوب في قدرناها والثاني من الغابرين فعلقه عن العمل باللام ثم جاء بان

فلما جا آل لوط المرسلون ۝ قال انكم قوم
منكرون ۝ قالوا بل جيناك بما كانوا فيه
يمترون ۝ وآتيناك بالحق وانا لصادقون ۝
فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم
ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تومرون
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع
مصبحين ۝ منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني
بشر بدليل قوله بل جيناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جيناك بما تنكرنا لاجله
بل جيناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت توعدهم

بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في
الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب
الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم   وقيل هو بعد ما يمضي
شيء صالح من الليل **فان قلت** ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات
قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا
فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم
لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة
احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد
لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت
به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم
كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال اليه اخادعه كما قال
تلفت نحو الحي حتى وجدتني   وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا
او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من

يلوي صح

الاقليد تفسير لابي الفتح الهمداني بالدال غير المعجمة منسوب الى همدان قبيلة من اليمن وفيهم قال علي رضي الله عنه فلو كنت بوابا على باب الجنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

شيء صالح من الليل اي قطعة طويلة منه يقال اقمت عند فلان زمانا صالحا وتقول العرب مضى من عمرك شيء صالح اي مدة طويلة

وقوله ويفوت معطوف على يقدم والباء في به للتعدية والضمير فيه راجع الى السرب اي فات السرب عنه
مضى قدما بضم الدال اي تقدم ولم ينثن

الليت بالكسر صفحة العنق وهما ليتان والاخدع عرق في موضع المحجمتين وهو شعبة من الوريد وهما اخدعان

يتلفت لابد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا
الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير
في تؤمرونه وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا
مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هولا مقطوع وفي ابهامه وتفسيره
تفخيم للامر وتعظيم له وقرا الاعمش ان بالكسر على الاستيناف وكان قايلا قال
اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هولاء وفي قراة ابن مسعود وقلنا ان دابر
هولاء ودابرهم اخرهم يعني يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد

وجاء أهل المدينة يستبشرون ۝ قال إن
هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ۝ واتقوا الله ولا تخزون ۝
قالوا أولم ننهك عن العالمين ۝ قال
هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين ۝ لعمرك إنهم

لفي سكرتهم يعمهون ۝ اهل المدينة اهل سدوم التي
ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملايكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي
لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم
ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية
وهي الحيا عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا
يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين
المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة
الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هولاء بناتي اشارة الى النساء لان
كل امة اولادنبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هولاء بناتي فانكحوهن
وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم
ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله
دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملايكة للوط عليه السلم انهم لفي سكرتهم اي
في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي
تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك
ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم

في تهذيب الازهري سذوم
بالذال المعجمة وفي الصحاح سذوم
بفتح السين والذال غير المعجمة قرية
قوم لوط عليه السلم ومنها قاضي سدوم

شورت الرجل فتشور اي اخجلته
فخجل

الاوجه ان يكون ذلك بناء على طريقتهم
وحالهم في ركوب ما لا يحل لهم كانه قال
ان كنتم لابد راكبين ما لا يحل لكم فعليكم
بحلال المباشرة التي قد تعارفها الناس
دون المنكر الذي لم يسبقوا اليه

بحياته وما اقسم بحيوة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم
بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك ان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا
الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرتهم وفي سكراتهم

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝ فَجَعَلْنَا
عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً
مِنْ سِجِّيلٍ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ
وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۝

الصيحة صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل
قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله حجارة من طين مسومة عند ربك
اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار
المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشئ يقال توسمت في فلان كذا اي

عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى
يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار
وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۝ فَانْتَقَمْنَا
مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا آمِنِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝

أصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة
ومدين لان شعيبا عليه السلم كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين
فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق
ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر
واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني صالحا لان من كذب واحدا منهم
فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن
الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه على الحجر فقال لنا لا تدخلوا
مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء
ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها
من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعدا وحوادث الدهر او آمنين
من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بنا البيوت الوثيقة والاموال والعدد

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق

وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل

والمطمر الزيج الذي يكون مع البنايين وقيل الحبل الذي يقدر به البناء

الطريق والمطمر واللوح

بتكذيبهم

هو خبيب بن عبد الله بن الزبير وكان يكنى عند اعدايه بابي خبيب لانه كان مضعوفا ليس فيه مناقب الرجال واولياؤه يكنونه بابي بكر

ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك

سبعا من المثاني والقرآن العظيم

الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف
يوم الجزا على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدايك ويجازيك
واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك
فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ
باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك
وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او
ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان
يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل
والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل
الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة
يونس وقيل هي آل حم او سبع صحايف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي

قيل في الاستشهاد نظر فان باب التفعيل لا يختص بهذا وشاهده الصيغة المختارة لا صل الحرف كالنشا والقطاع ه

ح

اي سور الحواميم اي الحواميم السبع والراسم هذه السورة كما في قوله تعالى مما ترك آل موسى وآل هرون اي مما ترك موسى وهرون ه

التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثنا لاشتمالها على ما هو
ثنا على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيها
من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثنا كانها تثنى
على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالاسباع
ويجوز ان تكون كتب الله كلها مثانى لانها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون
القرآن بعضها **فان قلت** كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا
عطف الشي على نفسه **قلت** اذا عنى بالسبع الفاتحة او الطول فما وراهن
ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا
اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال
له السبع المثانى والقرآن العظيم اى الجامع لهذين النعتين وهو الثنا او التثنية والعظم
اى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار **فان قلت** كيف وصل هذا بما قبله **قلت** يقول لرسوله قد
اوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وان عظمت فهى اليها حقيرة ضئيلة وهى القرآن
العظيم فعليك ان تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا
من لم يتغن بالقرآن وحديث ابى بكر رضى الله عنه من اوتى القرآن فراى ان احدا
اى لم يستغن

لا تمدن عينيك الاية

كقوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء اى كتابا جامعا بين كونه ضياء و فرقانا

اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى
واذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر
وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها
فى سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه
القوافل السبع

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا
مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِلْمُومِنِينَ ۝ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝
كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝ الَّذِينَ
جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝

ولا تحزن عليهم

لا تتمنّ اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوّى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم
المؤمنون وتواضع لمن معك من فقرا المؤمنين وضعفايهم وطب نفسا عن ايمان
الاغنيا والاقويا وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله
نازل بكم **فان قلت** بم تعلق قوله كما انزلنا **قلت** فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اى انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون
الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضّوه وقيل كانوا يستهزئون
به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان
يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية
وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية
لرسول الله عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان
غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم بالقرآن والثاني ان يتعلق بقوله
وقل اني انا النذير اى وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود
وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه
اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اى

عضين اى جعلوا القرآن اجزاء وهي جمع عضة واصلها عضوة ونقصانها الواو والهاء اى جزاء الله ان يكونوا الرسول له معرضين فكانوا عليه عزين وان جعلوا القرآن عطات فجعلوه عضين

هو معطوف ... الذين ... معطوف على قوله انذر قريشا

انذر المعضّين الذين يجزّؤون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين
وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا
الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغترّوا بالخارج منا فانه ساحر ويقول
الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة
والعاص بن وايل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا
على ان يبيّتوا صالحا عليه السلم والاقتسام بمعنى التقاسم **فان قلت** اذا علّقت قوله كما
انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسّط لا تمدّن الى آخره بينهما **قلت** لما كان
ذلك تسلية لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن
الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين
عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضّى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة
وليس دين الله بالمعضّى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهتّه وعن عكرمة
العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله العاضهة
والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء

ليفرقوا ح

وهو الوجه الاول من الوجهين المذكورين

فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا

يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن

المشركين إنا كفيناك المستهزئين

الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف

يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك

بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من

الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك

اليقين

لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن
أبي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر
فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر

والصدع

والمعنى بما تؤمر به

والصدع في الزجاجة الإبانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر به من الشرائع فحذف
الجار كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمرك
مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو الأسنان والشرف
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة
وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلم لرسول الله صلى الله عليه أمرت أن
أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه
فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومى إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة
فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صار كالرحى ومات وأشار إلى عيني الأسود
ابن المطلب فعمي وأشار إلى أنف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن
عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات بما يقولون من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك إلى الله
والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم
على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت أي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلعم
أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلوة عن رسول الله عليه السلم من قرأ سورة الحجر كان له
من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

Margin notes:

أي بمأموريتك

اسنان

كفيتهم

طلة

عين

أشار

تمامه
فقد تركتك ذا مال وذا نشب
ومثله لأتم استذهبه أي مرهوبته
ومن بعد غلبهم أي مغلوبيتهم
تمام العاص بالرفع وهو الصحيح
وفي الصحاح الأعياص من قريش أولاد
أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة
العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص
وأما العاصي في الإطلاق على ابن عمر
فهو اسم معنى مخطط كن العيد
الطلاطلة الداهية وههنا اسم رجل

سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية مكية

غير ثلث آيات في آخرها
وتسمى سورة النعم

بسم الله الرحمن الرحيم
أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى
عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من
أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه
لا إله إلا أنا فاتقون

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء
وتكذيبا بالوعد فقيل لهم أتى أمر الله أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا
لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار
فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى
ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزل اقترب للناس حسابهم
فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا
به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه
فاطمأنوا وقرئ يستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل
عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة
أو مصدرية فإن قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لأن
استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء ينزل
قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أي تتنزل بالروح من أمره بما يحيي
القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وأن أنذروا
بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم
أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا أنه

الهًا الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا اعلمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس
قولي لا اله الا انا فاتقون

خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون

وحين تسرحون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو
بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه
وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته
خلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ

تشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق
مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به
ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه
قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي
في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله
صلى الله عليه فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية
واكثر ما تقع على الابل وانتصابها ~~الازواج الثمانية واكثر ما تقع على الابل وانتصابها~~
بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق
الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان
والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف
او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها
ودرها وغير ذلك **فان قلت** تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون
مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها **قلت** الاكل منها هو الاصل الذي
يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر
والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم

تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون
نتاجها وألبانها وجلودها منّ الله تعالى بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لأنه من أغراض
أصحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة
فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الرغاء والثغاء انست اهلها وفرحت
اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه
لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا **فان قلت** لم قدمت الاراحة على التسريح
قلت لأن الجمال في الاراحة أظهر اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع
ثم أوت الى الحظائر حاضرة لأهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون
وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي والد

وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه
إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة

ويخلق

ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل
ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين

قرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان بمعنى المشقة وبينهما فرق
وهو ان المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي
هو الصدع واما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد
فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق
في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم **قلت** معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا أنهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة
فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل
لم تكونوا حامليها اليه **قلت** طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى
بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بأنفسكم الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على
ظهوركم اثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الأنفس وقيل اثقالكم
أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل
وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء

للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم
يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام **فان قلت** لم انتصب وزينة **قلت**
لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها **فان قلت** فهلا ورد المعطوف
والمعطوف عليه على سنن واحد **قلت** لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة
ففعل الزاين وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها
أو تجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون
يجوز ان يريد به ما خلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما
من بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلايق
ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة
له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على
قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جاير والقصد
مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه
يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل
ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى
فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جاير **قلت** ليعلم بما

يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل
وعلى الله قصد السبيل وعليه جايرها او وعليه الجاير وقرأ عبد الله ومنكم جاير يعني
ومنكم جاير جاير عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ
وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنْبِتُ لَكُمْ
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَومٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ

مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ ۝

لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه

المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ تسيمون من سامت

الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها

تؤثر بالرعي علامات في الارض قرئ ننبت بالياء والنون فان قلت لم قيل

ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في

الارض بعض من كلها للتذكرة [illegible] ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته

وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبي بن كعب

ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب على وجعل

النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل

ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون

بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون

المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا

كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار

وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله

بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار

العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف

على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ۝ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝

لحماً طريّاً هو السمك ووصفه بالطراءة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله
خيفة الفساد عليه **فان قلت** ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل
لحماً فاكل سمكاً لم يحنث والله تعالى سماه لحماً كما ترى **قلت** مبنى الايمان
على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال
الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحماً فجاء بالسمك كان حقيقاً بالانكار ومثاله
ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان
والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها
زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح
وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي
يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر
احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهاراً وجعل
فيها انهاراً لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً

وعلامات وبالنجم هم يهتدون ۞ أفمن يخلق

كمن لا يخلق أفلا تذكرون ۞ وإن تعدوا نعمة
الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ۞ والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون ۞

وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك
والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا
والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن بضمتين وبضمة وسكون وهو
جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفاً
فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه
النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فمن المراد
بهم **قلت** كانه اراد قريشاً كان لهم اهتداء بالنجم في مسايرهم وكان لهم
بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا
فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم خاصة

قلت فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها
مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق
ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن
الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات
فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا فإن قلت
هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل
الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله
مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس
المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا
عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك
ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا يعد إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز
عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على
كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من أعمالكم وهو وعيد

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا

وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ
لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

والذين تدعون والآلهة الذين يدعوهم
الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص
الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات
الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى أموات غير أحياء أنهم
لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي
الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون
متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم

وقت جزاءٍ منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف
ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم
لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء
يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشيها الله تعالى حيوانا
واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حيوة
وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث
الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي
القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان
ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم
وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد
يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان يكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له
فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم
منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله
يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين
عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه

واذا

وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير
الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة
ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما
يزرون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع
بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله
اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو
فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير
قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول
المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله
اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم
اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار
من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا

ذكر سيبويه في ماذا صنعت وجهين
احدهما ان يكون المعنى اي شيء الذي صنعته
وجوابه حسن بالرفع والثاني ان يكون
ماذا كما هو بمنزلة اسم واحد
كانه قيل اي شيء صنعت وجوابه
بالنصب وقرئ قوله تعالى
ماذا ينفقون قل العفو
بالرفع والنصب

اي السؤال وهو ماذا

يطاوعه على إضلاله فيحتملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا نحو قولك
خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم
ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن
يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل..

قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من
القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة
يخزيهم ويقول أين شركاءى الذين كنتم تشاقون فيهم
قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء
على الكافرين

القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات
ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه
بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا
ونحوه من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح
ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا ومعنى أتيان الله أتيان أمره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون
من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين
يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته يعني هذا لهم في الدنيا
ثم العذاب في الآخرة شركائي على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم
بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم
وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله
قال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان
ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى
الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة
الذين تتوفيهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا

السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم
تعملون ۝ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين ۝ وقيل للذين اتقوا
ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في
هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم
دار المتقين ۝ جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤن
كذلك يجزي الله المتقين ۝

قرئ يتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بإدغام التاء في التاء فألقوا السلم فسالموا
وأخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء
وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم إن الله عليم بما كنتم
تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب جهنم خيرا أنزل
خيرا فإن قلت لم نصب هذا ورفع الأول قلت فصلا بين جواب
المقر وجواب الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال
بينا مكشوفا مفعولا للإنزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا
هو أساطير الأولين وليس من الإنزال في شيء وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم
من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا إن
لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد
وأراه فيلقى أصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا
خيرا وقوله للذين أحسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي
قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ
عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافأة في الدنيا
بإحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب

الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن
خبر مبتداء محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر
عطف على قوله خبر مبتداء
والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم

الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام
عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر
ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم
الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا

به يستهزءون وقال الذين اشركوا لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم
فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد
بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من
حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان

تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل

وما لهم من ناصرين

يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المومن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله
الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة تأتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان تأتيهم
لقبض الارواح او امر ربك العذاب المستأصل او القيمة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله
وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول
وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة
والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه
كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه
على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان
ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم

واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم
عليه ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا
يأمرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم
من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت
عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا
فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه
حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه
انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث
والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اي لا تقدر انت
ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان
الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة
ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفي
قراءة عبد الله يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي ان تحرص
بفتح الراء وهي لغية

واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله

من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر

الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون

فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين

إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له

كن فيكون

واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشية الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون وانه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير

لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول

عطف على قوله وهذا مثل

والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم

في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا

يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف وقد خافه فى حسنة صفة للمصدر اى لنبوئنهم تبوئة حسنة وفى قراة على رضى الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواة حسنة وقيل لنبوئنهم فى

الدنيا منزلة حسنة وهى الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك فى الدنيا وما ذخر لك فى الاخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث اواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهولاء المستضعفين فى ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا فى دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعنى الذين صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط راسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملايكة فسلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اى رجالا ملتبسين

بالبينات وإما بأرسلنا مضمرا كأنما قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين
والأول على كلام واحد وإما بيوحى أي يوحى إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون على أن الشرط
في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي وقوله فسئلوا
أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر
لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل إليهم يعني ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا
عنه ووعدوا وأوعدوا ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا

أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله
بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم
على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم

مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله

في تقلبهم

في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو أن
يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله
من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر
رضي الله عنه أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال
هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا
وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فإن فيه تفسير كتابكم فإن ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون
ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من

دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم

من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون

قرئ أولم يروا وتتفيؤا بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء
يتفيأ ظلاله واليمين بمعنى الأيمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير
في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور
من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا إلى ما خلق الله من
الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة
من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير
ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة
لأفعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الأرض جميعا
على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما تدب الأناسي في الأرض وأن يكون بيانا لما
في الأرض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده
ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين
لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة

الأرض من الحفظة وغيرهم فإن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام
خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود
المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنع عليها
وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد
فإن قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت
لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو
صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم يخافون يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون
أي لا يستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لأن من خاف الله لم
يستكبر عن عبادته من فوقهم إن علقته بيخافون فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا
كقوله وهو القاهر فوق عباده وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على
الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء قوله

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله

واحد فإياي فارهبون وله ما في السموات

مراده

وإنا فوقهم قاهرون صح

يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم
وإن علقته بربهم حالا منه فمعناه م

والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون

وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم

الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم

إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما

آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون

فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما ورا الواحد والاثنين فقالوا
عندي رجال ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص
فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى
ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت
الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص
فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما

يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده
بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام عن
الغيبة الى التكلم وجاز لان الغايب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في
الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجي ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة
واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة
واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة
ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دايما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب
وما بكم من نعمة واي شي حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما تضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا
وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرا قتادة كاشف الضر على
فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بنا المغالبة يدل على المبالغة فان قلت
فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله
وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين
ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر

كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد
وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا
من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر

ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم
تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون
لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه
مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم

من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام
يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين
لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل
الاعلى وهو العزيز الحكيم

لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر
وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا
جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم
ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا
اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل
للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته
من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون

حقيقته تعجب الله
الناس من قولهم
لان التعجب لا يجوز عليه

الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون
من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجيء
ظل لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما لذلك مربد الوجه من الكآبة
والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من
أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به
على هون على هوان وذل أم يدسه في التراب أم يئده وقرئ أيمسكها على هون أم يدسها
على التأنيث وقرئ على هوان ألا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم
لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة
إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق وإقرارهم على
أنفسهم بالشح البالغ ولله المثل الأعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين
وهو الجواد الكريم

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا
مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى

فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۝
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ۝
لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ
تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝

بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين
وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان
الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك
في جحره بذنب ابن ادم او من دابة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل ظالمه
عطف على قوله قط
لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات
ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالتهم ويجعلون له اراذل
اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة
اذا قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال
اي قال الله حال الحفظة
الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك
جمع كسرة جمع خرقة اي ما يلتفت اليه

الموقف وقرا هذه الاية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى
بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ مفتوح الراء
ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت
فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا
خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات
وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم
فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس
القرين او جعل فهو وليهم اليوم حكاية الحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي
فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير
الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هولاء لانهم منهم ويجوز ان يكون
على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما
انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل
المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي
اي مدة كونه فعلا لفاعل الفعل حال اي ينتصب الاسم
اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل
عطف على قوله البعث
والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع
صح مقابلة

قوله تعالى وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا
سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل
والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون

ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال
كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير إليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين
فلأن معناه الجمع ويجوز أن يقال في الأنعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كأجبال
في جبل وأن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فإذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله
في كل عام نعم تحوونه ... يلقحه قوم وتنتجونه
(نتجت الفرس وغيرها إذا أخذت منه)
وإذا أنث ففيه وجهان
أنه تكسير نعم وأنه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه

قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم أي يخلق الله اللبن وسيطا بين
الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون
ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر
في كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة
على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضرع وتبقى الفرث (يبقى خ)
في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل
شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا
سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف
كهين ولين فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض
لأن اللبن بعض ما في بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لأن
بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته
من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أي كائنا من
بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وإنما قدم
لأنه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى أن المني طاهر على
من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك

مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا ان قلت
بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله
تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف
للتوكيد في قولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف كقوله
بكفي كان من ارمى البشر ❁ تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت
فلام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف
الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قايلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت
بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وقال

وجاؤنا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاح

وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخه الشعبي والنخعي والثاني
ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر
اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر
ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب

وباخبار رحمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل
النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى
فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فتسمج في المروة وقيل السكر الطعم
وانشد   جعلت اعراض الكرام سكرا   اي تنقلت باعراضهم وقيل هو
من الخمر فانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب
والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون
منه ما هو سكر ورزق حسن

قوله تعالى

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ❁ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ
بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ۝ والله خلقكم
ثم يتوفيكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا
يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير ۝

الإيحا إلى النحل إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل
لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما
يصلحها دلايل بينة شاهدة على أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى أولي العقول
عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على
المعنى أن اتخذي هي أن المفسرة لأن الإيحا فيه معنى القول قرئ بيوتا بكسر الباء
لأجل اليا ويعرشون بكسر الرا وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل
في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس
فإن قلت ما معنى من في قوله أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
وهلا قيل في الجبال وفي الشجر **قلت** أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها في

العطف للبيان

كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات إحاطة بالثمرات
التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتها
فاسلكي سبل ربك أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت
في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ
مآكلك أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر
إلى البلد البعيد في طلب النجعة أو أراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها
في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله ذللها لها ووطاها
وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة
لما أمرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لأنه مما يشرب مختلف ألوانه منه أبيض
وأصفر وأحمر وأسود فيه شفا للناس لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة
النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطبا فيه العسل وليس الغرض أنه
شفا لكل مرض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن
فيه بعض الشفا وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جا إليه فقال
إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع

فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله
فبرا كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء
والقرآن شفا لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع تاويلات
الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم
يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم
فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل
العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون
سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوا حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيا
ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وان يعلم شيا ثم يسرع في نسيانه
فلا يعلمه ان سيل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيا وقيل لئلا
يعلم زيادة علم على علمه وقوله تعالى

وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا
الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ
وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّٰهِ
هُمْ يَكْفُرُونَ

اى جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل
مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه
عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلعم
انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك
الا ورداوه رداوه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك
من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركا فقال لهم انتم لا تسوون
بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركا ولا ترضون ذلك

لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء من أنفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد وقال

حفد الولائد بينهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال

واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهن أولادا هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين من الطيبات يريد بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما

ونعمة الله ما أحل لهم

قوله سبحانه وتعالى

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا
مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ
فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا
لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ
يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

الرزق يكون بمعنى المصدر بمعنى ما يرزق فان أردت المصدر نصبت به شيئا كقوله
أو إطعام مسكينا على لا يملك أن يرزق شيئا وان أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه
بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تأكيدا للا يملك اى لا يملك شيئا من الملك ومن السموات
والأرض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض
نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في
معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعنى ولا يستطيع
هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذى لا حس به
فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد
قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان
يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد
بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان
يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الأمثال تمثيل للاشراك بالله
والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم
كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على
مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذى جركم اليه وجرأكم عليه

فهو

فهو تعليل للنهى عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل
من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك
غير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع
عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون
له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه
لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت
الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة
فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوى الاحرار والعبيد

قوله تعالى شأنه وجلت أسماؤه

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ
عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ

لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل
وهو على صراط مستقيم ولله غيب
السموات والأرض وما أمر الساعة إلا
كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء
قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم
لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة لعلكم تشكرون ألم يروا إلى
الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن

إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون

الأبكم الذي ولد أخرس فلا يَفهم ولا يُفهم وهو كلّ على مولاه أي ثقل وعيال على
من يلي أمره ويعوله أينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم
لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد
وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة
ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار
رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع
وقرئ أينما يوجه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرأ
ابن مسعود أينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والأرض أي يختص
به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم
القيمة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم إلا كلمح
البصر أو هو أقرب أي هو عند الله وإن تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو
كلمح البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف
الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد

وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ
حِينٍ ۝ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ
ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم
بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين
تكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة
ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده قرئ امهاتكم بضم الهمزة
وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة
قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال
ومعناه غير عالمين شيئا من النعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من
الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات
لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام
بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم ق والافئدة في فواد كالاغربة في غراب وهو من جموع
القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع
في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى قرئ الم يروا بالتاء والياء مسخرات
مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك ق في جو السماء الهواء المتباعد
من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ق ما يمسكهن في
قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته

تسلمون فإن تولوا فإنما عليك البلاغ
المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
وأكثرهم الكافرون من بيوتكم التي تسكنونها
من الحجر والمدر والأخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن إليه
وينقطع إليه من بيت أو إلف بيوتا هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع تستخفونها
ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم إقامتكم أي يوم
ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم
ضربها أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعا على أن اليوم بمعنى الوقت
ومتاعا وشيئا ينتفع به إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى ويفنى أو
إلى أن تموتوا وقرئ يوم ظعْنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات
أكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف
سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر
لم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا

محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد
الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون أي تنظرون
في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون
فتسلمون من العذاب أو تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع
فإن تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ
فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها
حيث يعترفون أنها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها
بشفاعة آلهتنا وقيل إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان لما
أصبت كذا لبعض نعم الله وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله وأنه
أجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها وأكثرهم الكافرون أي الجاحدون غير
المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فإن قلت ما معنى ثم قلت
الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف
النعمة أن يعترف لا أن ينكرها قوله تعالى
ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن

للذين كفروا ولا هم يستعتبون وإذا رأى
الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم
ينظرون وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من
دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون
وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما
كانوا يفترون

شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان
والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة
لهم فدل ترك الاذن على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا هم

يستعتبون

يستعتبون ولا هم يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل
فإن قلت ما معنى ثم هذه قلت معناه أنهم يمنون بعد شهادة
الأنبياء عليهم السلام بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة
ولا إدلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث
وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم
ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية إن أرادوا بالشركاء آلهتهم
فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وإن أرادوا الشياطين فلأنهم شركاؤهم
في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعوا بمعنى نعبد فإن قلت لم قالوا إنكم لكاذبون
وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم
لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين
بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها
لله من الشرك وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم إنكم
لكاذبون كما يقول الشيطان إني كفرت بما أشركتمون من قبل وألقوا يعني
الذين ظلموا وألقوا السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم

حين كذبوهم وتبرؤا منهم قال عز من قائل

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث
في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك
شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين
ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم

لعلكم

لعلكم تذكرون الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم
على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات
امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احديهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين
خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا
يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا يعني نبيهم لانه كان
يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير
تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن قال ملـ
كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء ملـ المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث
كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع الرسول وطاعته وقيل
وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي
رسول الله لامته اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق القياس والاجتهاد فكانت
السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا
لكل شيء العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم
واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض

عليهم من انفسهم

لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن علّمه الفرايض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق
والسلامة من التفريط وقال عليه السلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك
ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول
والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المومنين رضوان الله عليه
اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا
ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون

قوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا

تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي
اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم
القيمة ما كنتم فيه تختلفون عهد الله هي البيعة لرسول
الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد
توكيدها اي بعد توثيقها بالاسلام وأكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة
بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا
في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا
جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت
مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي
وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا
احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون
امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من
امة من جماعة المومنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر

أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على
أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة
المومنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام

قوله تعالى ولو شا الله لجعلكم أمة واحدة
ولكن يضل من يشا ويهدي من يشا ولتسئلن عما كنتم
تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم
بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن
سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا إن ما عند الله هو خير لكم

إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله
باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون ولو شا الله لجعلكم أمة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الإلجا
والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت أن يضل من يشا وهو أن يخذل
من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشا وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان
يعني أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب
ولم يبنه على الإجبار الذي لا يستحق به شي من ذلك وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم
تعملون ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسئلون عنه ثم كرر
اسم فاعل
النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد
أي من اتخاذ الأيمان دخلا
ثبوتها فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا
بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة
وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوما ممن
أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين

وأيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم أن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله

فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من

الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم أن رجعوا إن ما عند الله من اظهاركم

وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن

رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق

الاسلام **فان قلت** لم وحدت القدم ونكرت **قلت** لاستعظام أن تزل

قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة

قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى

وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم

باحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن

فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس

له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون

انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون

فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما **قلت**

هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل

من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر

لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب

الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان

موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة

والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره

وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحيوة

الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة

الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله

فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي

تجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم

الى الصلوة

إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك إذا أكلت فسم الله **فان قلت** لم عبر عن إرادة

الفعل بلفظ الفعل **قلت** لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه

فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله

صلى الله عليه فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد

قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ

ليس له سلطان أي تسلط وولاية على أولياء الله يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد

منهم من اتباع خطواته إنما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير

يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى بسببه

قوله تعالى جل ذكره وعز اسمه ونصر جنده

وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل

قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل

نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا

وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم

يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون

إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين تبديل الآية مكان

الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز

أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت

ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر

وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وقلة فهمهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا

يقولون إن محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون

ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأشق والأشق بالأشق لأن الغرض

المصلحة لا الهوان والمشقة **فان قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن

القرآن إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس **قلت** فيه أن

قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن

في إيجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع

بها فلا يصح نسخ القرآن بها في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب
الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله
دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف الى القدس
وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير
والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله
ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه
هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله
حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت
والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم
وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي
كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن
التورية والانجيل فكان رسول الله اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل
لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال لحد القبر
ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة

عن

عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن
الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه
لسان عجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا
لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان
فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت
لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا
جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ مَنْ كَفَرَ
بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ

بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم

ان الذين لا يومنون بآيات الله اى يعلم الله منهم انهم لا يومنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان فى الدنيا والعقاب فى الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفترى الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعنى انما يليق افترآء الكذب بمن لا يومن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شىء لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يومنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافترآء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذى هو اولئك على تقدير ومن كفر بالله بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذى هو الكاذبون على تقدير واولئك

هم من كفر بالله بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روى ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ فى قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين فى الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملى ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وهو يبكى فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمى اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اى الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان فى ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال انت ايضا فخلاه فقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال ما تقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول

فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيا له **قوله تعالى**

ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان
الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك
هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم

ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة

الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر

يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس
ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت
آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ف
بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم

فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون

يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر **فان قلت** ما معنى النفس المضافة الى النفس **قلت** يقال العين الشي وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هولاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا **فان قلت** الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه **قلت** اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدايد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما

يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا اخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرى والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرى لباس الخوف والجوع

قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا
عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما
تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم

عذاب أليم لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها
وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم
الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك
وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة
لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم
وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على
ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى
قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال
وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه
السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق
هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة
ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت
هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد

حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر
وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى
بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهايم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع
صفة للألسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب
كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع
قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها
عظيم قوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا

لغفور

لَغَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ
حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ
اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد
التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جمع صفات
الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وعن مجاهد كان مومنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى ماموم اي
يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما
جا من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي
عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت
انما هو ابرهيم صلى الله عليه فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان

معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة
حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ
امة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب
لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلموا
الخير والقانت القايم بما امره الله والحنيف المايل الى ملة الاسلام غير الزايل عنه
ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه
روي انه لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملايكة
في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم
شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط
مستقيم الى ملة الاسلام

قوله تعالى ذكره

وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن
الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم

حنيفا

حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه
وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على آل ابرهيم لمن الصالحين
لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه
واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلم من الكرامة واجل
ما اولي من النعمة اتباع رسول الله ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة
من بين ساير النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم
احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية

الى كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين
لاوامره والخالعين ربقة طاعته **فان قلت** ثم ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا
محلين او محرمين **قلت** معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين
اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلم امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة
وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات
والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان
بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه
فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد
فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه
ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء
للفاعل وقرأ عبد الله انا انزلنا السبت **قوله تعالى**

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو

اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك
الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما
يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون

الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل
الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها
وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة
حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من

غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة
اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول
باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه
وقرى وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى ان
المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير
ممثول به الا حنظلة الراهب فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروى فراه مبقور
البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر
عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى
بالكلب العقور اما ان رجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء عليهم
من الله بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا
عن المعاقبة واما ان رجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم
كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره على
الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلم واصبر انت فعزم عليه بالصبر
وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اي على

الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين فيما فعل بهم الكافرون ولا تك
في ضيق وقرى ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق
اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين
اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن
هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم
بخواتم النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه
الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر
كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مائة واحدى عشرة آية

الجزو الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله
لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره

اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من
جميع القبايح التي يضيفها اليه اعدا الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف
فان قلت الاسرا لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله
ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى
الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك
قراة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر
بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه
وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هاني
بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به
وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نايما في بيت ام هاني بعد
صلوة العشا فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي
النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك
قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل
فاخبره رسول الله بحديث الاسرا فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم

فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن
كان آمن به وسعى رجال الى ابى بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق وفيهم من سافر الى ثم
فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما
النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها
وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك
اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه
والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يومنوا وقالوا ما هذا الا
سحر مبين وقد عرج به الى السما فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس
واخبر قريشا ايضا بما راى فى السما من العجايب وانه لقى الانبيا وبلغ البيت المعمور
وسدرة المنتهى واختلفوا فى وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس
والحسن انه كان قبل البعث واختلف فى انه كان فى اليقظة ام فى المنام فعن عايشة
رضى الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معوية
الحسن كان فى المنام رويا رآها واكثر الاقاويل خلاف ذلك والمسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينيذ وراه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين

والدنيا لانه متعبد الانبيا من وقت موسى عليه السلم ومهبط الوحى وهو محفوف
بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على
لفظ الغايب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراة الحسن ثم من آياتنا ثم انه
هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله
العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك قوله تعالى

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا
شكورا

ان لا تتخذوا وقرى باليا على ليلا يتخذوا وبالتاء
على اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا الا تتخذوا بالتاء

على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح
وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولى تتخذوا اى لا تجعلوهم اربابا كقوله
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى
وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن
ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه قد فسر بما بولد الولد ذكرهم الله النعمة فى
انجا آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل
قال الحمد لله الذى اطعمنى ولو شاء اجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى
ولو شاء اظمانى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء اعرانى واذا احتذى
قال الحمد لله الذى حذانى ولو شا احفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى
اخرج عنى اذاه فى عافية ولو شا حبسه وروى انه كان اذا اراد الافطار عرض
طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت قوله انه كان
عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دونى
وكيلا ولا تشركوا بى لان نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا وانتم ذرية من
آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا
لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا

لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد قوله

وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب
لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا
كبيرا ۞ فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا
عليكم عبادا لنا اولى باس شديد فجاسوا
خلال الديار وكان وعدا مفعولا

وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اى مقطوعا مبتوتا بانهم
يفسدون فى الارض لا محالة ويعلون اى يتعظمون ويبغون فى الكتاب فى التورية
ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم
فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرى لتفسدن على البنا

للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلم
وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن
مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس
سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التورية
وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة
على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم
على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند
الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من
جملة الجوس المسند اليهم وقرأ طلحة وحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل
الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما
وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل

قوله تعالى ذكره وتقدس اسماؤه

ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم

بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن
أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها
فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة
وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن
يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا

ثم رددنا لكم الكرة أي الدولة والغلبة
على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر
واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت

أكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد
والمعيز أي الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضر إلى غيركم
وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاهما فإذا جاء وعد
المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا
وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة
علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام
في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب إذا جاء
ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى
مدة علوهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن
المعاصي وإن عدتم مرة ثالثة عدنا إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله إليهم النقمة
بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه
فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله
عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال
للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول

قوله

قوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي
أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة
أعتدنا لهم عذابا أليما ويدع الإنسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا

للتي هي أقوم للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما
قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف
بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فإن قلت
كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ
إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك
فإن قلت علام عطف وأن الذين لا يؤمنون قلت على أن لهم أجرا كبيرا

على انه بشر المومنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدايهم ويجوز ان يراد
ويخبر بان الذين لا يومنون معذبون اي ويدعوا الله عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه
تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل
يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده
وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلم اللهم
اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي
صلى الله عليه اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة
لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر وانه يدعوا بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعوا بالخير اذا مسته الشدة
وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتية لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس
هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه صبرا

قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين

فمحو

فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ❀

فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة
في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل
وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار
آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما
لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء
وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به
الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء لتبتغوا فضلا
من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف
الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد
حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم

فصّلناه تبييناً بياناً غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا **قوله**

وكل انسان الزمناه طايره في عنقه
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا من اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا
تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا

طايره عمله وقد حققنا القول

فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه
ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه
مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته
وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك
وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء
والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطاير
اي يخرج الطاير كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد
مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من
يلقاه اقرا على ارادة القول وعن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا
وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا
ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي
المدعي ما اهمه **فان قلت** لم ذكر حسيبا **قلت** لانه بمنزلة الشهيد والقاضي
والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا
حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن

اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اى كل نفس حاملة
وزرًا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو
اليها الحكمة ان نعذب قومًا الا بعد ان نبعث اليهم رسولًا فتلزمهم الحجة فان
قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل
التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم
النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف
والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه
على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت
الينا رسولًا ينبهنا على النظر في ادلة العقل قوله تعالى

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا

واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا
اى امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم

العذاب

الوسائل

افسقوا

افسقوا وهذا لا يكون فبقى ان يكون مجازًا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبًا
فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء
النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان
والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة
على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب
فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا
قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جايز فكيف يحذف ما الدليل قايم
على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام
مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او
قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا
قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امرى لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون
ما يناقض الامر مامورًا به فكان محالًا ان يقصد اصلًا حتى يجعل دالًا على المامور
به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوى لان من يتكلم بهذا
الكلام فانه لا ينوي لامره مامورًا به فكانه يقول كان منى امر فلم تكن منه طاعة
كما ان من يقول فلان يعطى ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت

اى مشهور

اى طلبت

هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشا وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان
المراد امرناهم بالخير ففسقوا **قلت** لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه
فكانك اظهرت شيا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه
ونظير امر شا في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو
شا لاحسن اليك ولو شا لاسا اليك تريد لو شا الاحسان ولو شا الاساة
فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشية
انه من اهل الاحسان او من اهل الاساة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه
حال صاحب المشية لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته
فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة
مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول
الله صلى الله عليه اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلم انه سيامر اي سيكثر
وسيكبر وقرى آمرنا من امر وامره غيره وامرنا بمعنى آمرنا او من امر امارة
وامره الله اي جعلناهم امرا وسلطناهم

قوله تعالى

وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك

بذنوب عباده خبيرا بصيرا

كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها ومعاقب عليها

من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا

من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشا لمن نريد فقيد الامر تقييدين
احدهما تقييد المعجل بمشيته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هولاء
يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم
فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المومن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا
او لم يوت فان اوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من
له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرى يشا وقيل الضمير
لله عز وجل فلا فرق اذن بين القراتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد ما يشا من الدنيا وان ذلك لواحد
من الدهما يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا

والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ ما نوى
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه. مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى **قوله تعالى**

اخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب

ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ۝ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ۝ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ۝

سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلث شرائط في كون السعي مشكورا
ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان
الصحيح الثابت. وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة
ص وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض
من المضاف اليه. نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي
جميعا على وجه التفضل. وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه

الآنف الاستئناف الابتداء وكذلك الائتناف قال الجوهري

ص انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض
وتفضل وكلها متفاوتة. وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج
الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى
الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد
الله لهم في الجنة اكثر. وقرئ واكثر تفضيلا. وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا
اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل **قوله تعالى**

ولا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ۝ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ۝

فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى
صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة
ممن جعلته شريكا له. وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا وان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك لا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان الصدر

او بان تحسنوا بالوالدين احسانا

لا تقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة
في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما
فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما
فاعلا وبدلا **فان قلت** لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل **قلت**
لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله **فان**
قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل **قلت**
لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا
مثل الاول • اف صوت يدل على تضجر • وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل
البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ **فان قلت** ما معنى عندك **قلت**
هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق
عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل
معهما وطاة الخلق ولين الجانب حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا
عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما
في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما
عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا
كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابرهيم

كلاهما كان ح

والاحتمال ح

نط. د

او ح

ابراهيم

ابرهيم صلوات الرحمن عليه لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء
الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عايشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا ۞ ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا
صالحين فانه كان للاوابين غفورا ۞

وقرئ جناح الذل
والذل بالضم والكسر

فان قلت ما معنى قوله جناح الذل **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض
لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمومنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى
الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول • والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا
خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط
رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف
برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك
في صغرك وتربيتهما لك **فان قلت** الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين **قلت** واذا كانا كافرين
فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان
الدعاء للكفار جايزا ثم نسخ وسيل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه
ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه

س

في كتابه الوصية بالوالدين • وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين و
سخطه في سخطهما • وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن
يدخل الجنة وروي سعيد المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء • وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان
ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما • وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا
وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه
وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك • وشكا اليه اخر
سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة قال لم تكن كذلك حين
ارضعتك حولين قال انها سيئة قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد
جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة • وعن ابن عمر رضي الله عنهما
انه راى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول • اني لها مطية لا تذعر • اذا الركاب نفرت لا تنفر •
ما حملت وارضعتني اكثر • الله ربي ذو الجلال الاكبر • تظنني جزيتها يا ابن عمر •
قال لا ولو زفرة واحدة •• وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياك وعقوق الوالدين فان
الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء
ان الكبرياء لله رب العالمين • وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها
ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها • وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره

وانا فقير وهو غني صح

انت ومالك لابيك صح

وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه
وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل ابن عياض عن بر الوالدين فقال ان
لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما
ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم
بخدمة اوداهما من بعدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود
ابيه بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا
صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه
البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم ابتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين
للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير و
عن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل
من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره

وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ۞
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ۞

وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا
كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة
والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم

كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة
ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى
ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذي القربى أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر
أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه
ويزلف وعن عبد الله هو إنفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا و
قد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد
قال أوفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار إخوان الشياطين أمثالهم في الشرارة وهي غاية
المذمة لأنه لا شر من الشيطان أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف
أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي أن يطاع لأنه لا
يدعو إلا إلى مثل فعله وقرأ الحسن إخوان الشيطان

وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا
ميسورا ۝ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا ۝ إن ربك يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا

وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا و
لا تتركهم غير مجابين إذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن
السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أي فقل لهم
قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أي ابتغ رحمة الله التي
ترجوها برحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أي وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح
لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد
سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن يكون معنى وإما تعرضن
عنهم وإن لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض
عن ذلك لأن من أبى أن يعطي أعرض بوجهه يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول
وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا
ميسور وهو اليسر أي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف
والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لأن المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى
فلانا وحرمني فلان ويقول المستغني ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما
فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فيما بين أصحابه أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا جالس
فقال من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت له قل له إن أمي تستكسيك الدرع

الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة
وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع جدي خ
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا ويحمل انه عز وعلا بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنّوا بسنته

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝

فاستنّوا بسنته قتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وخطاء وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطأ بالفتح والسكون

وخطاء بالفتح والمد

وعن الحسن خطاء بالفتح وحذف الهمزة كالخطب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ۝ فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۝

الا بالحق الا باحدى ثلث الا بان تكفر النفس او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال

كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابيّ فلا تسرفوا ردّه على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره

اي لا يسرف القاتل في القتل بان يقتل من لا حق له فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك

حيث اوجب القصاص بقتله وبنصره فى الآخرة بالثواب واما للذى يقتله الولى بغير حق و
يسرف فى قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف **ولا تقربوا مال اليتيم الا**
بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا
بالتى هى احسن او الطريقة التى هى احسن وهى حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسؤلا اى مطلوبا
يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفى به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك
تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا
واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم
ذلك خير واحسن تاويلا قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون و
قيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل
اذا رجع وهو ما يؤول اليه
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ولا تقف
ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعنى ولا تكن فى اتباعك ما لا علم لك به
من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدرى انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهى عن ان
يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهى عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم

صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول
هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى ياتى بالمخرج وانشد
ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا
اى التقاذف وقال الكميت
ولا ارمى البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا
وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام
العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام
وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية اى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور
كالمغضوب فى قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم
يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت
الهمزة واوا بعد الضمة فى الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح
ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ
الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها
ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله
الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا

مرحاً حال أي ذا مرح وقرئ مرِحاً وفضّل الأخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد لن تخرق
الأرض لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرُق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولاً
بتطاولك وهو تهكم بالمختال وقرئ سيئةً وسيئُه على إضافة سيئ إلى ضمير كل وشيئاً في بعض المصاحف
وسيئاتٍ وفي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان شأنه فإن قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروهاً
قلت السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه
ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئاً ألا تراك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة
فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث فإن قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها
حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بما نهي
عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك إشارة إلى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلهاً آخر
إلى هذه الغاية وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام ● أولها لا تجعل مع الله إلهاً آخر ● قال الله تعالى
وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها
وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه
وإن بذّ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين
الله أضل من النعم

أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من
الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ● ولقد

صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً ● قل
لو كان معه آلهة كما تقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش
سبيلاً ● سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ●

أفأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعني أفخصّكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء
بأفضل الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة
وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرداها
وأدونها للسادات إنكم لتقولون قولاً عظيماً بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون
عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله
وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه
مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير
ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير
لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ مشدداً ومخففاً أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا
ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم فما يزيدهم إلا نفوراً عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان كان إذا
قرأها قال زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً وقرئ كما تقولون بالتاء والياء وإذن دالة على أن
ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً لطلبوا إلى
من له الملك والربوبية سبيلاً بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما

آلهة إلا الله لفسدتا. وقيل لتقربوا إليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة علوا
في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصفه بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به

تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء
إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا
وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا

المراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى
قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله مما
لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فإن قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفهوم
معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا
أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا
عليه فإذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فإن قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم
الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والأرض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب
الحمل عليه وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز إنه كان حليما غفورا حين لا
يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم
ذو إفعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور

ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به
وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كأنه قال وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم

وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا
ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا

أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه أو لأن قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه
قيل ومنعناهم أن يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده
على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده
والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون
فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا

نحن أعلم بما يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ
يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا

بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه رجلان من عبد الدار
ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبه في موضع الحال
كما تقول يستمعون بالهزء أي هازئين وإذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
وإذ هم نجوى وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى إذ يقول بدل من إذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر

انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
وقالوا اءذا كنا عظاما ورفاتا اءنا لمبعوثون خلقا
جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر
في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
اول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل
عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده و
تظنون ان لبثتم الا قليلا

ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه
فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا اءذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله
كونوا على قولهم كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى
انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد
ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس
ببدع ان يردها بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما
يركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا
اليبوسة

على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة
ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين
منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن
تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك
تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه • وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك • وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم
وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة

وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان كان
للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم
او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا
وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض واتينا داود زبورا

وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا
للمشركين الكلمة التي هي احسن
والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم

ان الشيطان ينزغ بينهم

ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم
معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني
يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا
اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم
ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في
عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذا المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا
طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان
يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبيا
وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلم قال الله تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته فان قلت
هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور
كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد واتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القران قرانا

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا ۞ اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان
محذورا ۞ هم الملائكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم
ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون
ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى اخر او يبدلوه واولئك مبتدا
والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان الهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله
عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف
بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم اقرب الى الله وذلك بالطاعة
وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة ان
عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها
عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا ۞
نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب
للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة
بالجوع

والبصرة بالغرق والكوفة بالترك الجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها

بلدا بلدا وكان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ

وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا

ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا

استعير المنع لترك ارسال الايات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره

وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات التي اقترحها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء

الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم اية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب

اي عذاب من اقترحها

الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم

من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما

يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى

يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة

وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة

بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا

نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان

اراد غيرها فالمعنى وما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة

واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا

التى

التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القران

ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا

واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة

بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون

وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان

يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني

اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه

مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى

الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين

سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت يقول

فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا

وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي

المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها

ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجر نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان

الايات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما

ما أريناك منه في منامك بعد الوحي إليك إلا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة
الزقوم فما أثر فيهم ثم قال ونخوفهم أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا
كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء وبه تعلق
من يقول كان الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنما سماها رؤيا على قول
المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة
نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي ذق إنك أنت العزيز الكريم • وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة
وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة **فإن قلت** أين لعنت شجرة
الزقوم في القرآن **قلت** لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على
الحقيقة وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز • وقيل وصفها الله باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي
في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة • وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون • وسألت بعضهم
فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق • وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب
وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل • وقرئ والشجرةُ الملعونةُ بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل
والشجرة الملعونة في القرآن كذلك

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟
إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا
ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ

ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ
جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۞ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم
بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى
ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۞
إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۞

طينا حال إما من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع إليه
من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني
عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ
فقال لئن أخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد
الأرض إذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما
فإن قلت من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب **قلت** إما أن سمعه من الملائكة
صلوات الله عليهم وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر إليه فتوسم في
مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل
آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته
خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختيارك في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم كما قال

موسى صلوات الله عليه للسامري فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس فان قلت
اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى
ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغايب فقيل جزاؤكم ويجوز ان
يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون
او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة
استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك
على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث
وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى
استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه
على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم
واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله
كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال
والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق
في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب
والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة
وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة

وتسويف

وتسويف

وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكباير و
الخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الاجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم
سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله تعالى
الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده
مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على الخذلان والتخلية
سبيلهم
كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم

ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كا
ن بكم رحيما ۝ واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعو
ن الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ۝
افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا
ثم لا تجدوا لكم وكيلا ۝ ام امنتم ان يعيدكم فيه
تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم
بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ۝

برحى بحرى ونيسر والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم
كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت
ولا تعقدون برحمته رجاكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي
ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم
فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض **فان قلت** بم انتصب جانب البر **قلت** بيخسف مفعولا به
كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه
فان قلت فما معنى ذكر الجانب **قلت** معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سوا وله
في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق
في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء
فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع
الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصبا يعني او ان لم يصبكم بالهلاك
من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصبا يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق
في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا
فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو
الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشي الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتا اي الريح
وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم وقرئ باليا والنون تبيعا مطالبا من قوله تعالى فاتباع بالمعروف
اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه

اولم تهتدوا لانقاذكم احدا غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم صح

اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا
انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم
حين نجاهم

ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة
المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شي يأكل
بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جا في تفسير
جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق
فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا
ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شي
وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعدما
سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه
منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة
ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال
وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة

انه قال المومن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع
في هذه الاية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحتسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى
قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم
بالتاويلات البعيدة في عداوة الملاء الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مداين قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل

يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك
يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ۝ ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ۝ قرئ يدعوا

بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرا الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في
لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا
النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يوت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا
علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل
دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة
الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم
وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الاباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح
اولاد الزنى وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هولاء المدعوين

كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص
اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت
ابى كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والا[illegible]سبيل به والاستقا
الحياء والخجل والانخزال وحـ[illegible]ـع والعجز عن اقامة حروف الكلام و
الذهاب عن تسوية ال[illegible]ـه قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم
[illegible]ـابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل
المحشر هاوم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون
شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا
من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة
اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني
بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة
في الطرف معرضة
للامالة

وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك
لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ۝ ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ۝

اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا
نصيرا ۝ وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك
منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا ۝ سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ۝ روى

ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات
سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاءوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد
رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قالوا للكاتب اكتب والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب رضي الله (ولا يجبون صح)
عنه فسل سيفه فقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك
انما نكلم محمدا فنزلت وان كادوا الاية وروى ان قريشا قالوا اجعل لنا اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية
رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من
اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه

اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر
ان قران الفجر كان مشهودا ۝ ومن الليل فتهجد به
نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ۝ وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا ۝ دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى

عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه
من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات
الخمس وان كانت الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقران الفجر
صلوة الفجر سميت قرانا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية
والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هولاء ويصعد هولاء
فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا
بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون مشهودا وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا
عليها ليسمع الناس القران فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض
الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التاثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد
نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة

فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة
عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم • مقاما محمودا نصب على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم
القيامة فيقيمك مقاما محمودا ومعنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه
وهو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهى نوع واحد مما يتناوله
وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى و
تشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك • وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم هو المقام
الذى اشفع فيه لامتى • وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك
لا ملجا ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا • قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلنى
فادخل مدخل صدق اى ادخلنى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات
واخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر
البعث • وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة • وقيل ادخاله مكة ظاهرا
عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين • وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل
ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل
الطاعة وقيل هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا حجة تنصرنى على من
خالفنى او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته

بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
فى الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له • وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن
اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله
لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة
يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فيما يرى
النائم كأن عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز
الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير

وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا و
ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا
خسارا

كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم • وعن ابن عباس
رضى الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكى البيت الى الله
تعالى فقال اى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فاوحى الله الى البيت انى ساحدث لك توبة
جديدة فاملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم
عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم
القها فجعل يأتى صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة فى عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى
القاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمل رسول الله صلى الله عليه
حمله

حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد وشكاية البيت
والوحي إليه تمثيل وتخييل وزهوق الباطل ذهابه وهلاكه من قولهم زهقت نفسه إذا خرجت والحق الإسلام م
والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من
القرآن من للتبيين كقوله من الأوثان أو للتبعيض أي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به
إيمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف
بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون إلا خسارا أي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم

وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه
الشر كان يؤسا ◎ قل كل يعمل على شاكلته فربكم
أعلم بمن هو أهدى سبيلا ◎

وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة
أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه
مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه
والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين
وإذا مسه الشر من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله إنه لا ييأس
من روح الله إلا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى و
يجوز أن يكون ناء بمعنى نهض قل كل أحد يعمل على شاكلته أي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله من ح
في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم أعلم

بمن هو أهدى سبيلا أي أسد مذهبا وطريقة

ويسألونك عن الروح
قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ◎
ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا ◎ إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا ◎

الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر
بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني
أعظم من الملك وقيل جبرئيل وقيل القرآن ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر
بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب
عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر
الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما أوتيتم الخطاب عام وروي أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم
لم نؤت من العلم إلا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا
وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة
تدوران مع الإضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى ما تحته فالحكمة التي أوتيها
العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة

لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التورية قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته
عن جزاء الشرط واللام الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور
والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل
علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا إلا رحمة من ربك إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته
تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب
به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى
كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه
في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ • وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن أول ما تفقدون من دينكم
الأمانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم
منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا
أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح [الناس صح] منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب

قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ۝ ولقد صرفنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا ۝

لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم • لأن الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل القرآن في بلاغته
وحسن نظمه والمفيد وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت
ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر
على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني
القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة
على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فإن رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا
رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فإن قلت
كيف جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيدا قلت لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل
فلم يرضوا إلا كفورا

[margin: النوابت من [illegible] والاعراب صحاح]

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ۝
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها
تفجيرا ۝ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ۝ أو يكون لك بيت من
زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل

عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۞
لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون
باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وتفجر وقرئ
تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع
الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من
السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى
او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله

كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب

او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف
من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن
نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن
نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة
من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو
جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء
فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي
اعظم لم يكن الى تبصرهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من
اقتراحاتهم عليه هل كنت الا رسولا كسائر الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات

بشرا امثالهم وكان الرسل صح

فليس

فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي
وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ
اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۞ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۞ قُلْ كَفَى
بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞
ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن
ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر
والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي
الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس
ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض
قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل
الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون
بشرا او ملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم
على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين خبيرا عالما باحوالهم
فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال
وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ

والمنذرين صح

لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا
ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما
ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا

ومن يهدي الله و
من يوفقه ويلطف به فهو المهتد لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه ومن يضلل
ومن يخذل فلن تجد له أولياء أنصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه
فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ويجوز أن يحشروا مؤوفين في الحواس من الموقف إلى النار بعد الحساب
فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها
فسكن لهيبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم
أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم
على تكذيبهم البعث ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم
إلى قوله إنا لمبعوثون خلقا جديدا

أولم يروا أن الله الذي خلق

السموات

السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم
أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا قل لو أنتم
تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية
الإنفاق وكان الإنسان قتورا

فان قلت علام عطف
قوله وجعل لهم أجلا قلت على قوله أولم يروا لأن المعنى قد علموا بدليل العقل أن من
قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس لأنهم ليسوا بأشد خلقا
منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء وجعل لهم أجلا لا ريب فيه وهو الموت أو القيامة
فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحودا لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في لو أنتم
تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك إضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل
الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون
تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون
فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم
لو ذات سوار لطمتني ∴ وقول المتلمس ∴ ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي ∴ وذلك لأن الفعل الأول
لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد
بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لأهل مكة الذين اقترحوا

ما اقتروا من التوسع والانفاق وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا
فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل اذ
جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا ❁

عن ابن عباس رضي الله عنه هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور
الذي نتقه على بني اسرائيل ∴ وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور
وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه
الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم
وحمص وعدس كلها حجارة ∴ وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فقال اوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله
شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا
تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا
في السبت فسئل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل
او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل
فسل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات

لتزداد يقينا وطمأنينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم ليطمئن قلبي
فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين
جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخر فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء
آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك

قال لقد علمت ما انزل هؤلاء
الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون
مثبورا ❁ فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه و
من معه جميعا ❁ وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا
الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ❁

معاند مكابر

لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند
مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور
كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه
كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك
ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك
بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من

من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان
المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن
ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد
فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جمعا مختلطين
اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى

وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا و
نذيرا وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا

وبالحق انزلناه وما انزلنا القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله
على الهداية الى كل خير وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك
شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرا ابي فرقناه بالتشديد اي
جعلنا نزوله مفرقا منجما وعنه انه قرا مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون
سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه
تنزيلا على حسب الحوادث

وبالحق نزلناه

اي

ابن عباس رضه

قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم
من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا

ويقولون

ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا و
يخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

قل آمنوا
به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وانه لا يكترث بهم وبايمانهم
وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل
وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرايع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي
الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب
المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال الفرقان عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان
وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين فان قلت
ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا
وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن
ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت
ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد
اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر
على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت
معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون
للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين

قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلا ۝ وقل الحمد لله الذي لم
يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن
له ولي من الذل وكبره تكبيرا ۝ عن ابن عباس

رضي الله عنهما سمعه ابوجهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
الها اخر ۞ وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم
فنزلت ۞ والدعا بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك
احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير يعني
ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في ايا
عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم
فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما
وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله
فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها

بمعاني ...

احسن الاسماء انها مستقلة بمعنى التمجيد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف
المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلوة
افعال واذكار ۞ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقرائته فاذا سمعها المشركون
لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من
خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا ۞ وروى ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته
بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي ۞ وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول ازجر
الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا ۞ وقيل معناه ولا
تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت
بصلوة النهار ۞ وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وابتغا السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولي من الذل ناصر من الذل ومانع
له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف
لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو
الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان
له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا اوقية
صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم

سورة الكهف مائة وعشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين

يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه

ابدا ۝ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من

علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون

الا كذبا ۝ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

بهذا الحديث اسفا ۝ انا جعلنا ما على الارض زينة

لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ۝ وانا لجاعلون ما عليها

صعيدا جرزا ۝

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه

ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج
في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة
والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا
من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب
فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه
العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة
وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة
ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها
وقيل قيما ~~على سائر الكتب~~ بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى
مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا و
الباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ
من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت
لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار
عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر
المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة
ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد

للآباء وقد تسلمته آباؤهم من الشيطان وتسويله **فان قلت** اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل
ما لهم به من علم **قلت** معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل
بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز
والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم
صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان
في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون
عليه تشوّرا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة **فان قلت**
الام رجع الضمير في كبرت **قلت** الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه
واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته
فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل
وعلى الاضافة اى قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا
بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اى لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا و
الاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون
زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوكم ايكم احسن عملا وحسن العمل الزهد
فيها وترك الاغترار بها ثم زهّد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا
جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه
وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات

صوابه لنبلوهم ايهم

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا ۞ إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من
لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ۞

ذكر من الآيات

الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال
ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار
الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت ۞ وليس بها الا الرقيم
مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد ۞ وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم وجعل
على باب الكهف • وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف
وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا
بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اى رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والا من
من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين
مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا

فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ۞ ثم
بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ۞ نحن

نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى

ضربنا على آذانهم اى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعنى انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات
كما ترى المستثقل فى نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذى هو الحجاب كما
يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد التكثير وان يريد
القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار
عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اى يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم
وهو معلق عنه فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم
اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم الحزبين المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا
اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اى الحزبين المختلفين
من غيرهم واحصى فعل ماض اى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله
من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس
ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف به
ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت
انى انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر فى قوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا
على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا
الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم

قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا
ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت

وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان
بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا

وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم
على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة
به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط
وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط فى السوم وفى غيره هؤلاء مبتدأ
وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار فى معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم
فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل
على فساد التقليد وانه لا بد فى الدين من حجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه

واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف

يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ

وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ

مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ

فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا

وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله

يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة

وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا

قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اى ينتفع به اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى

رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبى فى عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور

مخفف بادغام التاء فى الزاء او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من

الزور وهو الميل عن الصدق ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين

وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس

وهم فى فجوة منه وهم فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها

مع انهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل فى متسع من غارهم

ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اى ما صنعه الله

بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته يعنى ان ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس آية

ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة ابدا ومعنى

ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا

فى الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص

بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى اصاب الفلاح واهتدى

الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ

ذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ

عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا

وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد فى نكد قيل عيونهم مفتحة

وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل

تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على

المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم

وقرأ جعفر الصادق رضى الله عنه وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية

لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا
نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد

بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر

وقرئ ولملّئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف
الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم
وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا
اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ
قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا
فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا

وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث
جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا

يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على
جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم
من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم
لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت
كأنهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة
ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورْقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء
وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين
لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة
وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من
النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما
حكي عن بعض صعالك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله ويعلم منه ذلك وكانت
مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم
بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي
اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف
وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن

فانتن عليه [illegible]

بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب
فيه والضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ
وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ
فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا ۝ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ
غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۝

يرجموكم يقتلوكم
اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف
ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون
ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم • وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثنا[هم]
لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم
في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم
عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح
دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد
تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف

ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت
تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم
وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون
بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون
في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم
وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا ∴ وروي ان اهل الانجيل
عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في
ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان
والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني
اني احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا
يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على اذانهم وقبل ان بعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف
اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد
وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة
لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه
بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم
وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر
الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت

انفسهم

من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم أعلم بهم
من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم
يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم
من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم
كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم
إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا

سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخبارا بما سيجري
بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم • قال ابن عباس رضي الله
عنهما أنا من أولئك القليل • وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي
صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم
وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم
فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله عن لسان جبريل عليهما السلام وعن علي كرم الله وجهه

وعن

وعن علي كرم الله وجهه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره و
السابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير
فإن قلت لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين قلت فيه وجهان أن يدخل
الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل
معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب
أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم
ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول زهير • وما هو عنها بالحديث المرجم •
أي المظنون • وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام الثاء في تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة
وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم
وثامنهم كلبهم فإن قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأوليين
قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الجملة الواقعة حالا
عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما أهلكنا
من قرية إلا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها
أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم
وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه وتعالى أتبع القولين الأولين قوله
رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم إلا قليل • وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو

استطع العدة أي لم يتوعد ما عدة عاد يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات • وقيل إلا قليل من أهل الكتاب • والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن ولا تستفت ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترد عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم

ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا

ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك الشيء غدا أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة إلا أن يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعرض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا متلبسا به وهو في موضع الحال يعني إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم في ملتهم

مما لن يشاء الله وهذا نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطا يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولا • ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه • ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به • وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهدين لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا

ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لأن ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من إدراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لأهل السموات والأرض من ولي من متول لأمورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه أحدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا

كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له واتل ما أوحي إليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر على تبديلها وتغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل إليه إن هممت بذلك

أحد صح

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا

قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به فإن قلت أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه إعطاء

مجموع مُعَيَّنين وذلك أقوى من إعطائه معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين
إلى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي ولا تضموها إليها آكلين لها وقرئ
ولا تُعْدِ عينيك ولا تُعَدِّ عينيك من أعداه وعدّاه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعدّ عما ترى
إذ لا ارتجاع له لأن معناه فعدّ همّك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين
وأن تنبو عينه عن رثاثة زيّهم طموحا إلى زيّ الأغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع
الحال من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته
وأحمدته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين
كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد
الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب
نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا
أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم
لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكّن من

اختيار أيهما شاء فكأنه مخيّر مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين شبّه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو
الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار
وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فأعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر
الأرض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه إذا قدّم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه
هو كعكر الزيت فإذا قرّب إليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا والاتكاء
ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله
إني أرقت فبتّ الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح

من المرتفق ومما المتكأ كله وليس حسنت مرتفقا

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا
مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ
وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا

أولئك خبر إن وإنا لا نضيع اعتراض ولك أن تجعل
إنا لا نضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك كلاما مستأنفا
بيانا للأجر المبهم فإن قلت إذا جعلت إنا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ قلت
من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت

من أحسن عملا منهم، وكان كقولك السمن منوان بدرهم. من الأولى للابتداء والثانية للتبيين، وتنكير أساور
لإبهام أمرها في الحسن، وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ منه
جمعا بين النوعين، وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم

واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من
أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ۝ كلتا
الجنتين آتت أكلها وفجرنا خلالهما نهرا ۝ وكان له
ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر مالا وأعز نفرا ۝
ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه
أبدا ۝ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي
لأجدن خيرا منها منقلبا ۝

واضرب لهم مثلا رجلين أي ومثل حال الكافرين
والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مسلم اسمه يهوذا
وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم إني كان لي قرين، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف
دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم إن أخي اشترى أرضا بألف دينار

وأنا أشتري منك أرضا في الجنة فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف دينار فقال اللهم إني جعلت ألفا
صداقا للحور، ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف
فتصدق به، ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق
بماله ∴ وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان زوج أم
سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكافر وهو الأسود بن عبد الأسد. جنتين من أعناب بساتين
من كروم. وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين، وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها
مؤزرة بالأشجار المثمرة. يقال حفوه إذا طافوا به، وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله، وهو متعد
إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به. وجعلنا بينهما زرعا جعلها
أرضا جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها
ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق، ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص، ثم بما
هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها. والأكل
الثمر، وقرئ بضم الكاف. ولم تظلم ولم تنقص. وآتت حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه لفظ مفرد، ولو
قيل آتتا على المعنى لجاز. وقرئ وفجرنا على التخفيف، وفي قراءة عبد الله كل الجنتين آتى أكله، رد الضمير
على كل. وكان له ثمر أي أنواع من المال، من ثمر ماله إذا كثره. وعن مجاهد الذهب والفضة،
أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما، فكان وافر اليسار
من كل وجه متمكنا من عمارة الأرض كيف شاء. وأعز نفرا يعني أنصارا وحشما، وقيل أولادا
ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث. يحاوره يراجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع. وسأله

[هامش: ولم تظلم منه شيئا]

[هامش: ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم إني أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به]

وأنا

فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد اخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما
ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت
معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المومنون فما ملكه
في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدا منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر
به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخبر عن نفسه بالشك في
بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه
النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة
احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل
الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا
على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله
وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما
ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ
تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۞ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا
أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ

اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۞
فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا
مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۞ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ
تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۞ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ
عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ
أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ۞

لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان
خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال
جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله
لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل

وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي

اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع
منها اليه يا الضمير • وقرا ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع
الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف •• وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء

لكنه وقرى لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة
عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال
لاخيه انت كافر بالله لكني مومن موحد كما تقول زيد غايب لكن عمرا حاضر ما شا الله يجوز ان تكون
ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شا الله او شرطية منصوبة الموضع
والجزاء محذوف بمعنى اي شي شا الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال
والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شا الله اعترافا بانها وكل خير فيها
انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شا تركها عامرة وان شا خربها وقلت لا قوة
الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في
بدنه ولا في ملك يده الا بالله • وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حايطه ايام الرطب فيدخل من شا وكان
اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا
واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا
والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني
جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان
بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان
وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق
صعيدا زلقا ارضا بيضا يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط
به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه

ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم
العدو اذا جاهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا
لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل
فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة
سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر
موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز
ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان قرى ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه
على المعنى دون اللفظ كقوله فية تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت ما معنى قوله
ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على
نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان
ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرى بهما
والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا
لقوله ولم يكن له فية ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او
في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة
الجي اليها فقالها جزعا مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية فيها
لله ينصر فيها اولياه المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدايهم يعني انه نصر فيما فعل
بالكافر اخاه المومن وصدق قوله عسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما
ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليايه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار
الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرى الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو بن عبيد
رحمة الله عليه ورضوانه بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة

حسنة صحيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرى عقبا بضم الكاف [القاف] وسكونها و

عقبى على فعلى

وكلها بمعنى العاقبة

هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير
عقبا

تفسير هذه الآية قد تقدم ذكره في الصفحة الماضية

واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح
وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا

فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء
فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه
صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة
هشيمة وقرى تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها
وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان
لم يكن وكان الله على كل شيء قديرا من الانشاء والافناء مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال الخير
التي تبقى ثمرتها للانسان وتبقى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس

مولده واقعا في الاساس ورق النبات ورقا ... له بهجة من الري

وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير
ثوابا اي ما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة

وما يتعلق بها من الثواب

ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم
فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا
كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا
ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا

قرى تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل
هباء منبثا وقرى وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها
وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرى فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه
ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على
السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا
اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى

لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة وقيل حفاة عراة لا شيء معهم كما خلقناكم أولاً كقوله ولقد جئتمونا
فرادى فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى قلت للدلالة على أن حشرهم
قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعداً وقتاً
لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الأعمال يا ويلتنا
ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة
يعني لا يترك شيئاً من المعاصي إلا أحصاها أي أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً لأن
الأشياء إما صغار وإما كبار ويجوز أن يريد وإما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا
الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة • وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة
وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا
والله من الصغائر قبل الكبائر إلا أحصاها إلا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضراً في الصحف
عتيداً أو جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك أحداً فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه المستحق أو يعذبه
بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان
من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من
دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ◉ كان من الجن

كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلاً قال ما له لم يسجد
فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء للتسبيب أيضاً جعل كونه من الجن سبباً في فسقه لأنه لو
كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز
عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام
المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما
تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم أنه كان ملكاً ورئيساً على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطاناً
ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال فواسقا
عن أمرنا جوائرا • أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم أفتتخذونه الهمزة
للإنكار والتعجيب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم
بي بئس البدل من الله إبليس بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته

ما أشهدتهم خلق السموات ولا خلق أنفسهم وما كنت
متخذ المضلين عضدا ◉ ويوم يقول نادوا شركائي الذين
زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ◉

ما أشهدتهم وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء
فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات

والارض لا اعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا
انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب يكونوا صح
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي بن ابي
طالب رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون العين ونقل ضمتها
الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون العين وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم
وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم
توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره
ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك
والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها
هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا • وقال الفراء البين الوصل اي جعلنا تواصلهم في
الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد
اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا
مَصْرِفًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۞ فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون

واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف اكثر شيء جدلا
اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا
على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَ
يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ قُبُلًا

ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين
وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا
هُزُوًا ۞

ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم اي ازلاقها وازالتها عن موطئها
وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من
العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم
قولهم للرسل ما انتم الا بشر ذكر بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله
ان يفقهوه

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا

ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه
وفي آذانهم وقرا ۝ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ۝
وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل
لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ۝

فأعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم أبدا مدة التكليف كلها وإذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم حرصا على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه

وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا
لمهلكهم موعدا ۝

وتلك القرى يريد قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم

أشار لهم إليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس وأهلكناهم خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصبا بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم أهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك أو وقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد وقت أو مصدر

وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين
أو أمضي حقبا ۝ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما
فاتخذ سبيله في البحر سربا ۝

لفتاه لعبده قال النبي صلى الله عليه وسلم ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وقيل هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فإن قلت لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ

المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا
اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما يقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى
لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية
ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو
في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب
ثمانون سنة ∴ روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله
ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له
قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم
منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى ∴ وقيل ان موسى عليه السلم سال ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي
عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا
فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء
طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى
فقال وانى بارضنا السلم فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم

علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما
ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد
امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره
فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ
عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل
توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا امسك الله جرية الماء على
الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر عليهما السلم

فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا ۝ قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت
الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ
سبيله في البحر عجبا ۝

فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان
موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان
يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة
والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوزا الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فذكر
الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي
يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه

معجز من شيئين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء
وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد
وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله الشيطان
بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله
عند موسى من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام أرأيت بمعنى أخبرني فإن
قلت ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت
لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك
الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني
نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وأن أذكره بدل من الهاء في
أنسانيه أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه عجبا ثاني مفعولي
اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا في آخر كلامه تعجبا
من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان
أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك
ذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام

قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ●
فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه

من لدنا علما ● قرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو
وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في أدراجهما قصصا
يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة
من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب

قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ● قال إنك لن تستطيع
معي صبرا ● وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ●

رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا رشد أرشد به في ديني فإن قلت أما دلت
حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي
يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين قلت لا غضاضة
بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال
لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا
فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم
وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك
أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك أو
لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر

قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا

قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك
منه ذكرا ۝ ولا أعصي في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا
وغير عاص أو في لا محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده
أن يستطيع معه صبرا بعد إفصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الأمر فوعد الصبر معلقا بمشيئة
الله علما منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا
يطاق هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله تعالى بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه
العلم منه بريء من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن
جميل فكيف إذا لم يعلم وقرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت
مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فحميت وأنكرته في نفسك أن لا تفاتحني
بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع
فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال
أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا ۝ قال
ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ۝ قال لا تؤاخذني
بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا ۝

فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما
بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما
لججوا أخذ الخضر الفأس فخرقها بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه
ويقول أخرقتها لتغرق أهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع
جئت شيئا إمرا أتيت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال ـــ داهية دهياء إدا إمرا
بما نسيت بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي
أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار
وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول إبراهيم صلوات الله
عليه هذه أختي وإني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك
أول مرة يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا من أمري وهو اتباعه
إياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين
فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا
زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ۝ قال ألم أقل لك
إنك لن تستطيع معي صبرا ۝ قال إن سألتك عن
شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ۝

فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه
بالسكين **فإن قلت** لم قيل حتى إذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى إذا لقيا غلاما
فقتله بالفاء **قلت** جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء
قال أقتلت **فإن قلت** فلم خولف بينهما **قلت** لأن خرق السفينة لم يعقب الركوب وقد تعقب
القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده لأنه
لم يرها قد أذنبت وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن
عباس أن نجدة الحروري كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان
فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى عليه السلام فلك أن تقتل نكرا وقرئ بضمتين
وهو المنكر وقيل النكر أقل من الأمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة وقيل معناه
جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه
فإن قلت ما معنى زيادة لك **قلت** زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة
الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة أو المسألة فلا تصاحبني فلا تقارني وإن طلبت صحبتك فلا
تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تُصحِبني أي فلا تصحبني إياك ولا تجعلني
صاحبك من لدني عذرا قد أعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون
كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك
وقال صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب العجائب
فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن

يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو
شئت لاتخذت عليه أجرا ۝ قال هذا فراق بيني وبينك
سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ۝ أهل قرية
هي أنطاكية وقيل الأبلة وهي أبعد أرض الله من السماء أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما
يقال ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من
الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل
قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد أن
ينقض استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي

في مهمه فلقت به هاماتها ... فلق الفؤوس إذا أردن نصولا

وقال

يريد الرمح صدر أبي براء ... ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال حسان

إن دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالإحسان

وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ وإذا كان القول والنطق والشكاية
والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد
ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال

إذ قالت الأنساع للبطن الحق ... تقول سني للنواة طني
لا ينطق اللهو حتى ينطق العود ... فإن يك ظني صادقا وهو صادقي
وشكا إلي بعبرة وتحمحم ... تمرد مارد وعز الأبلق

قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب

ولبعضهم
الحماسة

يأبى على أجفانه إغفاءها ... إذا انقادا الهموم تمردا — بيت
أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا

قوله تعالى قالتا اتينا طايعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان
يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة
فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز
وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطاير وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض
كاحمر من الحمرة وقرى ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال
ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى
وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال
حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا
فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا — لو شيت
وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به الضرورة وقرى لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في
تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شي فان قلت هذا اشارة الى ماذا
قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلم ان سالتك
عن شي بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتداء واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا — الاشارة
اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السوال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل
هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به

اما

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَ
كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلَامُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَ
كُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ
رُحْمًا ۝

لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر
وراءهم امامهم كقوله ومن وراءهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم
في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندا فان قلت
قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه
قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن — الاسباب
مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة
صالحة قرا الجحدري فكان ابواه مومنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين المومنين طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق — عليهما ص
بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر
او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه
ذلك لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة
عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر

نعتهم ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك
وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف
فروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت
ابدلهما ابنا مومنا مثلهما

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝

قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام اسمه الحسين واختلف في الكنز
فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله ۝ وقيل صحف فيها
علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة
عليهم واحلت لنا لقوله تعالى والذين يكنزون الآية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح
ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب

نبيا وقيل سبعين

المقتول صح

اراد صح

الذي

الذي حفظا فيه سبعة آباء ۝ وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج
في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي
خير منه فقال قد انبانا الله انكم قوم خصمون ۝ رحمة مفعول له او مصدر منصوب
بارادة ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي
ورايي وانما فعلته بامر الله سبحانه وتعالى

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا

ذو القرنين

هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مومنان ذو القرنين وسليمان وكافران
نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله
الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى
يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم
غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة ۝ وعن علي رضي الله
عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله

فاجبه وسأله ابن الكوا ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن
كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على
قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف
قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها . وقيل كان له قرنان ضفيرتان وقيل
انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب بن منبه سمي لانه ملك الروم
وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه
قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته
كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها
ولد غيره والسائلون هم اليهود لعنهم الله سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله
ابو جهل عليه اللعنة واشاعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل
شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا
موصلا والسبب ما يوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب
فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد
بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع سببا

حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب

في عين حامية ووجد عندها قوما ۞ قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا ۞

قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة
وقرئ حامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله
عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس
حين غابت فقال صلى الله عليه وسلم أتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله و
رسوله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها تغرب في عين حامية وهي
قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر رضي الله عنهما وابن عمرو والحسن رحمهما الله وقرأ
ابن عباس رضي الله عنهما حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ
قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس
وكان ثم رجل فانشد قول تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمد

اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون
العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل

وكان ابن عباس عند معوية فقرأ معوية حامية فقال ابن عباس حمئة

وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم
قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا ۝ وأما من آمن وعمل صالحا
فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ۝
ثم أتبع سببا ۝ فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم
الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل صالحا ما يقتضيه الايمان
فله جزاء الحسنى وقيل خير بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء
الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة
وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور
وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل
الميسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين
حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا ۝ وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان
مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هو الزنج والتتر
هم

الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا
ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت
عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه
ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال
فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار
خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر
اللباس وعن مجاهد لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ۝ كذلك اي امر ذي القرنين
كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب
الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي
جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف
وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك
القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم
على الكفر واحسانه الى من آمن منهم ثم اتبع سببا ۝ حتى اذا بلغ
بين السدين وجد من دونهما قوما ۝ لا يكادون يفقهون قولا ۝

بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح
وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد
بالضم فعل بمعنى مفعول اى هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه
الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك
وكما ارتفع فى قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل اسما وظروفا وهذا
المكان فى منقطع ارض الترك مما يلى المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون
يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم
وقرئ يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة

قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى
الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا

ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة
آجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم
مفسدون فى الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون
شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول
الله صلى الله عليه فى صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل
السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر قرئ

خرجا وخراجا اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا
بالفتح والضم

قال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة اجعل
بينكم وبينهم ردما

ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من كثرة
المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة بى اليه كما قال سليمان صلوات
الله عليه فما آتانى الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينونى بقوة
بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم
اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع

آتونى زبر الحديد
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا
قال آتونى افرغ عليه قطرا

قيل حفر للاساس حتى بلغ
الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم
حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس
المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين
السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه
ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء
قال قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اى يتقابلان وقرئ

ما مكنى

الصُّدُفين بضمتين والصُّدْفين بضمة وسكون والصَّدَفين بفتحة وضمة والقِطْر
النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه
قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني اي جيئوني

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا

فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما
اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين
على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه
ولا نقب لصلابته وثخانته

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا

هذا اشارة الى السد اي
هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته
فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان يأتي جعل السد دكا
اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل
الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد
ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا

وتركنا وجعلنا بعضهم

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا

بعض

الخلق صح

بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير
ليأجوج ومأجوج انهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي
انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن
لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم
يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها
عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها
ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ
لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة
بهم للسمع

سَمْعًا أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا

عبادي من دوني اولياءهم
الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرأ
ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي
افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان
اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم
ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف

في العمل صح

وغيره فبشرهم بعذاب اليم

قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ◎ الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ◎ أولئك
الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا ◎ ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي
ورسلي هزوا ◎

ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء ۵

فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو **قلت** الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ع

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا ◎ خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ◎

الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد الخلود

قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ◎

المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلم غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ع

قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا ○ فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه
وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد
بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا
لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله
عليه اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي
انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلم
اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا ○ عن
رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا
من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السما وعنه
عليه السلم من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه
نورا يتلألؤ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان
مضجعه بمكة كان له نورا يتلألؤ الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يستيقظ من مضجعه

سورة مريم عليها السلم ثمان وتسعون آية

ويروى تسعون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
كهيعص ○ ذكر رحمة ربك عبده
زكريا ○ اذ نادى ربه نداء خفيا ○
بسم الله الرحمن الرحيم ○ بفتح الها وكسر اليا حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما
الحسن وقرا الحسن ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرى ذكر على الامر
قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر
والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الريا وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء
فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم
او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جا في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف
في سن زكريا عليه السلم فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون
قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا
ولم اكن بدعائك رب شقيا ○ قرى وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود
البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه

فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا
الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى
معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ٭ ادغام السين في الشين عن ابي عمرو
شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ
باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس
واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثمة فصحت هذه الجملة
وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله
وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته ٭

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي
مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٭

كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم
على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به
في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي بعد موتي وقرا ابن كثير من وراي بالقصر وهذا
الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي
وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرا عثمان ومحمد بن علي
وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائي بمعنى
خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم

ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا
قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا
الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح
للولادة

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٭

يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري
يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري او يرث على تصغير وارث وقال غليّم صغير وعن
علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان
والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا
ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية
لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق
وقيل يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن
داود

يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ
مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٭

سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي
الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل
في مدح قوم ٭ شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب ٭ وقال رؤبة للنسابة
البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد

التاء للمبالغة كما في العلامة

عطف على قوله لم يسم احد

كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل
والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان
كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه
لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا

قال رب انى يكون لى غلام وكانت امراتى عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا ●

اى كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال
احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامراته على صفة العتي
والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون
ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد في ان الله غني
عن الاسباب ● اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا
العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى
عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا
ابي ومجاهد عسيا

قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا ●

كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال
قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان

في كبره وكون امرأته عاقرا ع

دابر هولاء مقطوع مصبحين وقرا الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول
اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى
قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم
تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا
يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله ● اذا راى غير شيء ظنه رجلا ● وقرا الاعمش والكسائي
وابن وثاب خلقناك

قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم
الناس ثلث ليال سويا ●

اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال
علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي
هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن

فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ●

اوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا بكرة صلوا او على
الظاهر وان هي المفسرة

يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا ●

اي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي
يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان
الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم
عقله في صباه واوحى اليه

وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا ●

اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد

وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا

حنانا رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحنّ في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم

وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا

سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن

واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا

اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر

فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا

سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الآدمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيا به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا

قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا

ارادت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا

اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هو حكاية لقول الله عز وجل

درع المرأة قميصها

قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا

جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث وما اشبه ذلك

وليس بمن ان تراعى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد
بغوي فادغمت الواو في اليا وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل
بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر

قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا

ولنجعله تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل
مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل
نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث مقضيا
مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه
آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان
سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين

فحملته فانتبذت به مكانا قصيا عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا
منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء
وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل
ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها
وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة
وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت

نصب على الاستثناء

به أي اعتزلت وهو في بطنها كقوله: تدوس بنا الجماجم والتريبا: أي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها
ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن أي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها
وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف
عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من
روح القدس فلا تقتلها فتركها

فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا

اجاء منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه
ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان وآتانيه فلان قرأ ابن كثير في
رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة
وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم وابن
الصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك
دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى
انما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل
شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات اختارها لها والجأها
اليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من حقه ان يطرح

ونسي كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن
يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساكم اي الشي اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ
تمنت لو كانت شيئا تافها لا يوبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي واطرح فوجد فيه
النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحيا والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة
لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراة الساحة وبضد ما قرفت به من
اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف
اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا
يعاب به ويعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش
وحمزة نسيا بالفتح قال الفرا هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر
كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي نسا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالما ينساه اهله لقلته ونزارته
وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر

فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا

من تحتها هو جبريل عليه السلم قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراة عاصم وابي
عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة
فصاح بها الا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى
وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سيل النبي صلى الله عليه وسلم
عن السري فقال هو الجدول قال لبيد: فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها

وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها
لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام
وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان
مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى
يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها

وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا

تساقط فيه تسع قراات تساقط بادغام
التا وتتساقط باظهار التايين وتساقط بطرح الثانية ويساقط باليا وادغام التا وتساقط
وتسقط ويسقط وتسقط التا للنخلة واليا للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب
القراة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والبا في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله
ولا تلقوا بايديكم او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفسا عادة من
ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفسا خير من الرطب ولا للمريض خير
من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب

فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا

عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع
اي جمعنا لك في السري والرطب فايدتين احدهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر
لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك
ما احزنك واهمك وقري وقري بالكسر لغة نجد ترين بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا
من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمزة وحرف اللين في الابدال

فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا
صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما إلا أنهم كانوا لا يتكلمون
في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته أمرها الله بأن
تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها
الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن
السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة
وقيل سوغ لها ذلك بالنطق إنسيا أي أكلم الملائكة دون الإنس

فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا
يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا

الفري البديع وهو من فري الجلد هارون كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل وقيل هو
هو أخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه إنما عنوا هارون النبي وكانت من أعقابه
في طبقة الأخوة وبينها وبينه ألف سنة وأكثر وعن السدي كانت من أولاده وإنما قيل أخت
هارون كما يقال يا أخا همدان أي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به أي
كنت عندنا مثله في الصلاح أو شتموها به ولم ترد أخوة النسب ذكر أن هارون الصالح تبع جنازته
أربعون ألفا كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهارون هذا وقرأ عمر بن
لجاء التيمي ما كان أباك امرؤ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه

لأربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فإني عبد
الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى
تكلم عيسى فتركوها

فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا

فأشارت إليه أي هو الذي يجيبكم إذا نطقتموه وقيل كان
المستنطق لعيسى زكريا صلوات الله عليه وعن السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها
بنا أشد علينا من زناها وروي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ
على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان
لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ها هنا لقريبه خاصة والدليل
عليه معنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أي كيف عهد
قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا

قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني
مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا
وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا

أنطقه الله أولا بأنه عبد الله
ردا لقول النصارى والكتاب هو الإنجيل واختلفوا في نبوته فقيل أعطيها في طفولته أكمل الله

عقله واستنبأه طفلا نظرا الى ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي
لا محالة كأنه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير قرئ
وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة
وكلفنيها واحد **والسلام علىّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا**
والسلام على قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل
كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف
تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلم واعدايهما من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال
وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى
يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا
من التعريض **ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون**
قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن
الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى
واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف
واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر موكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات
والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد
الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي
العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل

وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امر حق يقين وهم فيه شاكون
يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى
ابن الله وثالث ثلثة وقرأ علي بن ابي طالب تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان
الناس فيه يمترون **ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون** تكذيب للنصارى وتبكيتهم بالدلالة على انتفاء
الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم
ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها
اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ها هنا مجاز ومعناه ان ارادته
للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل
وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستاذ وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بغير
واو بالكسر وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه **فاختلف الاحزاب من بينهم
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم**
الاحزاب اليهود
والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن

الحسن الذين تحزبوا على الانبيا لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد
يوم عظيم اى من شهودهم هول الحساب والجزا فى يوم القيامة او من مكان الشهود فيه وهو
الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء
والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما شهدوا
وشهدوا به فى عيسى وامه **اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم**
فى ضلال مبين لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ
جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون
مما يسوؤهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعنى الظالمين موضع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد
من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين
اغفال النظر والاستماع **وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم**
فى غفلة وهم لا يؤمنون قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار وعن النبى صلى الله عليه انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان
ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم فى غفلة متعلق بقوله فى ضلال
مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اى وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين
انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون يحتمل انه يميتهم ويخرب
ديارهم وانه يفنى اجسادهم ويفنى الارض ويذهب بها **واذكر فى الكتاب ابرهيم**

انه كان صديقا نبيا الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك
والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان
الرجحان والغلبة فى هذا التصديق للكتب والرسل اى كان مصدقا لجميع الانبيا وكتبهم وكان
نبيا فى نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا فى الصدق لان ملاك امر
النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حرى ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا
بين المبدل منه وبدله اعنى ابرهيم واذ قال نحو رايت زيدا ونعم الرجل اخاك
اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى
عنك شيئا ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اى كان جامعا لخصايص الصديقين
والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى الكتاب ان
يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره
ومورده فى تنزيله التا فى يا ابت عوض من يا الاضافة ولا يقال يا ابتى لئلا يجمع بين العوض
والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من اليا وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض اليا فيه بدلا
عن الواو الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا والارتكاب
الشنيع الذى عصى فيه امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التى ليس بعدها كيف
رتب الكلام معه فى احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق
واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا فى ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه اوحى الله الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسّن خلقك ولو مع الكفار
تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه
من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه
لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق
لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم
وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية
التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه
اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم تكن الا عتوا
وظلما وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته
الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك
وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها

يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك
سويا ❁ ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه
بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا
تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه

يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ❁
ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك
من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك
كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان
الا ان ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان
الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته
كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه

يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ❁
ثم ربع بتخويفه
سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح
بان العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس
ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان
الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر
ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم
وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم
ياتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس
به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء

ويجوز ان يقدر نحو مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك وجانبي
فيه تجدد العلم عنده

قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته
لارجمنك واهجرني مليا ۞

لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه
بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة
العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي لانه
كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته
ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه عما كان يلقى من مثل
ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن
او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا
من الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي
بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف
عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع

قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ۞

سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال
هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت

كيف

كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد
الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة
والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من
الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا عليه بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما
القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء
على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان
شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها
اياه فالواعد هو ابرهيم لا ازر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك ويشهد له قراءة
حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به

واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى
الا اكون بدعاء ربي شقيا ۞ فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ۞

المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسايطها ومنه قوله عليه السلم
الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله

في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في
كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله أحد قط ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولادا
مؤمنين أنبياء **ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا**
من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي
أوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق
باليد وهي العطية قال إني أتتني لسان لا أسر بها يريد الرسالة ولسان العرب
لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى
ادعاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم إبراهيم وملة إبراهيم حنيفا ثم أوحينا إليك
أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه
واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا
المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذي عن مج
أخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن
معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع
وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا
الأيمن من اليمين أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب شبهه بمن قربه بعض
العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبي العالية قربه حتى سمع صريف القلم
الذي كتبت به التوراة **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا**

من رحمتنا من أجل رحمتنا وترؤفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا
وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقوله رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر
من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه **واذكر في**
الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا
ذكر إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له وإكراما
كالتلقيب نحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس أنه
وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى
حيث قال ستجدني إن شاء الله من الصابرين **وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة**
وكان عند ربه مرضيا كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة
ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين
وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان
الديني أولى وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم
وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو نصحا للأجانب فضلا عن الأقارب والمتصلين به وأن يحظيهم
بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك **واذكر في الكتاب إدريس إنه كان**
صديقا نبيا وقيل سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه أخنوخ وهو
غير صحيح لأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه

من الدرس دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب
ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه
الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس
ورفعناه مكانا عليا المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد
انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من
خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة
وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة
الجعدي انه لما انشد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي آخره ۵

بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال له رسول الله الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة

اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا

اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من
لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن

الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من
ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا
ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى
والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان
خبرا قرا شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل البكي جمع باك
كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه اتلوا القرآن وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القرآن على رسول الله في المنام فقال لي يا صالح
هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا
فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه ان القرآن نزل بحزن فاذا
قراتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرا آية تنزيل السجدة قال
اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين
عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا
هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك

فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي
عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله

السوء

عنه هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب
وعن ابن هيثم ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول قوله الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن
علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن
قتادة هو في هذه الامة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند
العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد
في جهنم تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون

إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا

قرئ يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان
تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من ذلك من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او ولا يظلمون
البتة اي شيئا من الظلم

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا

لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك
ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة
وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك
او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل
من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن

بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها
او بتصديق الغيب والايمان به قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها
او هو من قولك أتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا

لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا

اللغو فضول الكلام
وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي
لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما
لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك
فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى
السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء
فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من يأكل الوجبة
ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى
المحمودة ولا يكون ثمة ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء
وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة
ولا تقصد الوقتين المعلومين

تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا

نورث وقرئ نورّث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث

مال المورث ولان الاتقيا يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم
الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفي وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي
كانت لاهل النار لو اطاعوا

وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا

وما نتنزل حكاية
قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطاه رسول الله روي انه احتبس اربعين يوما وقيل
خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان
يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له
النبي صلى الله عليه ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور
اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الاية وسورة والضحى والتنزل على معنيين
معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله
فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب
لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللايق بهذا الموضع هو النزول على مهل
والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا
وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان
الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال
لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق

لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وما بين
النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل
وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسما التي وراءنا وما بين السماء
والارض والمعنى انه المحيط بكل شي لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل
نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا به وياذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان
تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما
احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي
حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا
وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف
في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان
ربك ناسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي
ملكوت السما والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه فحين عرفته على هذه الصفة فاقبل
على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرا الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية
عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك ويجب ان يكون الخلاف في النبي مثله في البغي

رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز

ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله ۵
وقايلة خولان فانكح فتاتهم ∴ وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين
وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر
عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت
له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدايد ومشاق فاثبت لها ولا تهن
ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك
مدة وشماتة المشركين بك اي لم يسم شي بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما
الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن
عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية
على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه
العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ۵ اليه

ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا

يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت
ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قايلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم
صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن راس خالد

فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ۵

فان قلت لم انتصب اذا وانتصابه بأخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قايم
قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي
معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت
الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا للتوكيد ايضا فكانهم قالوا احقا
انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج
من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد
سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرا الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف
لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد
الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت
عليك نعمة فلان اسات اليه **اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل و**
لم يك شيئا الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف
عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك
اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع
التاليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا
وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها
كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت
عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون

عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذاء
على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معاندته
وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا القراءة
وفي حرف أبي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في إقسام الله تعالى باسمه
تقدست أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من
شأن السماء والأرض في قوله فورب السماء والأرض إنه لحق **فوربك لنحشرنهم والشياطين**
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا والواو في والشياطين يجوز أن
يكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فإن قلت هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة
فإن أريد الأناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت إذا حشر جميع الناس
حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة
فإن قلت هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق
بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال
التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله
وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم
فإن قلت ما معنى إحضارهم جثيا قلت أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم
يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة

على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة
في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق
الحبى خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم
فيحبون على ركبهم حبوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا
حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب
والعقاب **ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا**
ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا
والمراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله
تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد
أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم
بالعذاب فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية
هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم
عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم
واختلف في إعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم
أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة حتى لو جيء به

لاعرب وقيل انهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من
رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل انهم اشد عتيا وايهم اشد
بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على
والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل
اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا

وان منكم التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب
للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة
فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كانها اهالة وروى دواية وعن
جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم
لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله
عنه انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الورود الدخول لا يبقى
بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار
ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود وقد يرد
الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت
منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلم الحمى من
فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها

وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق
الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم ان لا يكون غيره

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

قرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد
الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم
يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي
بفتح الثاء اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها
وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين

**واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا**

بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد
تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر
على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان
ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين امنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم
به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين
امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرا ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل

والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث
ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك
مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المومنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى
يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون
ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقرا المسلمين انهم اكرم
على الله منهم **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا**
كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب
احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد
لحسن بن علي الطوسي ∴ تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريئا على
القلب كقولهم راء في راى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه
من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو ريئا
بحذف همزته والقا حركتها على اليا الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي
محاسن مجموعة والمعنى احسن من هولا **قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا** اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر
ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له

مدام

يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى الدعا بان يمهله الله وينفس في مدة حيوته
**حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة
فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا**
في هذه الاية وجهان احدهما ان يكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما
اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون
هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب
في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله
على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان
الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المومنين
على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم
والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة
ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان
يعاينوا نصرة الله المومنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي
قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو

نعيم

مكانهم ومسكنهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الأنصار والأعوان

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير
عند ربك ثوابا وخير مردا ۝ يزيد معطوف على موضع فليمدد
لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال
الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه الباقيات الصالحات أعمال الآخرة كلها
وقيل الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أي هي خير
ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا أي مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا
الأمر مرد وهل يرد بكاي زندا فإن قلت كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل
ثواب الصالحات خيرا منه قلت كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم
وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه أصلا إذا راح المطي غراثا وقوله
تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيظ
للمتهدد من أن يقال له عقابك النار فإن قلت ما وجه التفضيل في الخير كأن لمفاخرهم
شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره من
الشتاء في برده أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا و
ولدا ۝ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ۝

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النسار
فأعتبوا بالصيلم

قوله صح

لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا إلى الإحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت
في معنى أخبر والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا
الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه
وطلع الثنية قال جرير: لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الأمر أي
عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى
إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل
إليه إلا بأحد هذين الطريقين إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلى ذلك
قرأ حمزة والكسائي ولدا جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن
يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه
فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله إليه أنه يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله
نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن وائل قال خباب بن الأرت كان
لي عليه فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين
تبعث قال فإني إذا مت بعثت قلت نعم قال إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد
فأعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في
الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالا وولدا حينئذ
كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ۝

دين صح

أوتى

كلا ردع وتنبيه على الخطا اى هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت
كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اى تبين وعلم بالانتساب انى لست بابن لئيمة والثانى
ان المتوعد يقول للجانى سوف انتقم منك يعنى انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر
فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اى نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع
الذى يعذب به الكفار المستهزئون او نزيد من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده
وامده ويدل عليه قراءة على بن ابى طالب رضى الله عنه ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك
من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه

ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ◦ واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزا ◦

ونرثه ما يقول اى نزوى عنه ما زعم انه يناله فى
الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول
الرجل انا املك كذا فتقول له ولى فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله فى
الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك فى قوله لاوتين لانه جواب قسم
مضمر ومن يتال على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه فى
العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدى

عليه تمنيه وتاليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله
ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قايل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب
به وجهه فى الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم
نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال
مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين ياتى ثم يتفاوتون بعد ذلك
ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب

كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا

كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اى سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفى محتسب ابن جنى كلا بفتح الكاف والتنوين
وزعم ان معناه كل هذا الراى والاعتقاد كلا ولقايل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهى كلا التى
هى للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما فى قوله قواريرا والضمير فى سيكفرون للآلهة اى سيجحدون
عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا راى الذين
اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم
كاذبون او للمشركين اى ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها كما قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا
ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ضدا فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان
اى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا

والضد العون يقال من اضدادكم اى اعوانكم وكان العون سمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته
لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلم وهم يد على من سواهم لاتفاق
كلمتهم وانهم كشى واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الالهة عونا عليهم انهم وقود النار
وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو فى سيكفرون ويكونون الى المشركين
فان المعنى ويكونون عليهم اى اعداءهم ضدا اى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها

الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا

الاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اى تغريهم على المعاصى
وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شا لمنعهم
قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الايات التى ذكر فيها العتاة المردة من الكفار
واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم فى الغى وافراطهم فى العناد
وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك
فى اتباع الشياطين وما تسول لهم **فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا**

عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اى لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون
من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة كانها فى سرعة تقضيها الساعة التى تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل
لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضى الله عنه

انه اذا قراها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول
قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد
ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد **يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا** نصب يوم بمضمر اى
يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب
بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته وخصهم
برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن على رضى الله عنه
ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر
الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء
والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال

ردى ردى ورد قطاة صما — كدرية اعجبها برد الما

فسمى به الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون

لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا

الواو فى لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه
القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتى فى اكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ

لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف
المضاف اى الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار
بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه قال لاصحابه ذات
يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومسا عند الله عهدا قالوا وكيف ذاك قال يقول كل صباح ومساء
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك بانى اشهد ان لا اله
الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر
وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف
الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى
مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الرحمن صح
الى فلان بكذا اذا امره به اى لا يشفع الا المامور بالشفاعة المادون له فيها وتعضده مواضع
فى التنزيل وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء
ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضى له قولا **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ۞ لقد جئتم شيئا**
ادا ۞ قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد
العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على ادا
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال

هدا ۞ ان دعوا للرحمن ولدا ۞ تكاد قراءة الكسائى ونافع بالياء وقرئ
ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرا
ابن مسعود ينصدعن اى تهد هدا او مهدودة او مفعول له اى لانها تهد فان قلت ينصدعن
ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات
قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض
والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى ووقارى وانى لا اعجل بالعقوبة
كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان
حليما غفورا والثانى ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى
الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر فى المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام
العظيمة التى هى قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفى قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة
بعد الغيبة وهو الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض
لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا فى ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء فى منه كقوله
على حالة لو ان فى القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم بدل من الضمير فى جوده
ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اى هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء
الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره
مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها
منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت

وجميع ما عنده عطاؤه فمن أضاف إليه ولداً فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق
اسم الرحمن. هو من دعا بمعنى سمّى المتعدّي إلى مفعولين فاقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلباً
للعموم والإحاطة بكل ما ادّعي له ولداً، أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام
من ادّعى إلى غير مواليه، وقول الشاعر: إنا بني نهشل لا ندّعي لأب ۞ عنه ولا هو بالأبناء يشرينا ۞ أي لا ننتسب إليه

وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً انبغى مطاوع بغى إذا طلب، أي ما يتأتّى
له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً لأنه محال غير داخل تحت الصحة. أما الولادة المعروفة
فلا مقال في استحالتها، وأما التبنّي فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبنّى، وليس للقديم سبحانه
جنس، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. **إن كل من في السموات و
الأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم
عدّاً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** من موصوفة لأنها وقعت
بعد كلّ نكرة وقوعها بعد ربّ في قوله: ربّ من أنضجت غيظاً صدره. وقرأ ابن مسعود
وأبو حيوة: آتٍ الرحمن، على أصله قبل الإضافة. الإحصاء: الحصر والضبط، يعني حصرهم بعلمه وأحاط
بهم. وعدّهم عدّاً: الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين،
أحدهما القول بأن الرحمن يصحّ أن يكون والداً، والثاني إشراك الذين زعموهم لله أولاداً في

عبادته

عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لآبائهم، فهدم الله الكفر الأول فيما تقدّم من الآيات
ثم عقّبه بهدم الكفر الآخر. والمعنى: ما من معبود لهم في السموات والأرض من الملائكة ومن الناس
إلا وهو يأتي الرحمن، أي يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً خاشياً
راجياً كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم، لا يدّعي لنفسه ما يدّعيه له هؤلاء الضلال. ونحوه قوله
تعالى: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه. وكلهم متقلّبون في ملكوته مقهورون بقهره، وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل
أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم، لا يفوته شيء من أحوالهم، وكل واحد منهم يأتيه يوم
القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد، وهم برآء منهم. **إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً**
قرأ جناح بن حبيش: وِدّاً بالكسر. والمعنى: سيحدث لهم في القلوب مودّة ويزرعها لهم
فيها من غير تودّد منهم ولا تعرّض للأسباب التي يكتسب بها الناس مودّات القلوب من
قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرّة أو غير ذلك، وإنما هو اختراع منه ابتداءً، اختصاصاً منه
لأوليائه بكرامة خاصة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظاماً لهم وإجلالاً
لمكانهم. والسين لأن السورة مكية، وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة، فوعدهم امّا
الله ذلك إذا دجا الإسلام. وإما أن يكون ذلك يوم القيامة، يحبّبهم إلى خلقه بما يعرض من
حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم. وروي أن رسول الله صلى الله عليه قال لعلي

رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المومنين مودة
فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله
عليه يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل
السما ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة
ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه

فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا

هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه
قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي
المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر. واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون
في كل لدد اي في كل شق من المرا والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة

وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا

وقوله كم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرى تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرا
حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز
المال المدفون. عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب
زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل
وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

وتروى وهي مايه وثلثون واربع آيات

سورة طه مائة واربعون آية مكية

في رواية مائة وخمس وثلثون آية صح

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى

ابو عمرو فخم الطا لاستعلايها وامال الها وفخمها ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون امالوهما
وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه
فامر ان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته ها او قلبت في يطا فيمن قال
لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والها للسكت ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان
بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا
في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون اليا طا فقالوا في يا طا واقتصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة
ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به. ان السفاهة طاها في خلقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين.
والاقوال الثلثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقايق التنزيل هي التي يعول
عليها الالبا المتقنون. ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسما الحروف على الوجه السابق
ذكره فهو ابتدا كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا

نسخه: واختصروا

خلائقكم

والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم وقرى ما نزل عليك
القرآن لتشقى بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يومنوا كقوله لعلك باخع
نفسك والشقا يجي في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رايض مهر واشقى من رايض مهر اي ما
عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يومنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في ادا الرسالة والمو عظة
الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابايك فاريد رد
ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة
وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها روى انه عليه السلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه
فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة
وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة
للفعل الا ان الاول وجب مجيه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة
الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرايط فان قلت
اما يجوز ان يقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها
نصبة طارية كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه
احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة
بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثنا المنقطع الذي
الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة
العتاة من اعدا الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا

عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له
لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية
تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على
في نصب تنزيلا وجوه ان يكون
بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشي لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا
وان ينصب بانزلنا ما انزلناه لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على
المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو
معنى حسن واعراب بين وقرى تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا
الى قوله له الاسما الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته
ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت
ما فايدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغايب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في
الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة
ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة
الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا
حكاية لكلام جبريل والملايكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة
من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها العرش استوى
قرى الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح

عليكم

على تقدير هو الرحمن وأما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة
التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح قلت اذا جررت
فهي خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين
للمبتدا لما كان الاستوا على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك
فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته
في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر
ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا
فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده بالنوال قط او لم يكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته
عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل
بل يداه مبسوطتان اى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل
للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض
السابعة اى يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى
منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعنى انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه

هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق
الجزا الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر الله من دعا او غيره فاعلم انه غنى عن جهرك فاما ان
يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول
واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما لغرض آخر

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسما لان حكمها
حكم المونث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذى فضلت به اسماؤه
في الحسن ساير الاسما دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هي
النهاية في الحسن

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى

قفاه بقصة موسى عليه
السلم ليأتسى به في تحمل اعبا النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدايد حتى ينال عند
الله الفوز والمقام المحمود

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى

يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اى حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا
لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلم في الخروج الى امه فولد له في الطريق ابن في ليلة مظلمة
شاتية مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ما عنده وقدح فصلد زنده فراى النار
عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذى لا شبهة

فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشي والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو
ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم
ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر على الرجا والطمع وقال
لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في راس
عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من شقفة او نحوها هدى اي
قوما يهدونني الطريق او ينفعوني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتاده وذلك لان افكار
الابرار معمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا
وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب
منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها
والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى
وبات على النار الندى والمحلق قرا ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك
وكسر الباقون **فلما اتيها نودي يا موسى** اي نودي فقيل يا موسى
او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق
المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك
وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه
من جميع جهاتي الست بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها
كانها نار بيضا تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما وبهت فالقيت عليه السكينة

فخاف ح

ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن
اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم

اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى

قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر
الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين
ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقران يدل
على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء
الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اي
نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة **وانا اخترتك فاستمع**
لما يوحى اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى
او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك **انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني**
واقم الصلوة لذكري لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى
لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها
او لان اذكرك بالمدح والثنا واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او

لاخلاص ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل
المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى
يا ليتنى قدمت لحياتى وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلم من نام عن صلوة
او نسيها فليصلها اذا ذكرها كما قال رسول الله اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة
فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اى لذكر صلاتى او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل
فى الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه للذكرى **ان الساعة آتية اكاد**
اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى اى اكاد اخفيها فلا اقول
هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت
به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسى ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه
مطرح والذى غرهم منه ان فى مصحف ابى اكاد اخفيها من نفسى وفى بعض المصاحف اكاد
اخفيها من نفسى فكيف اظهركم عليها وعن ابى الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه
اذا اظهره اى قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض اللغات اخفاه
بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد
فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها اى لا يصدنك عن تصديقها

والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة **فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها**
واتبع هويه فتردى
فان قلت العبارة لنهى من لا يؤمن عن صد موسى
والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق له فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا
المقصود قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب
ليدل على المسبب والثانى ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب
ليدل على السبب كقولهم لا أرينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته
اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك
لمن يكفر بالبعث انه يطمع فى صدك عما انت عليه يعنى ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شئ اطم
على الكفرة ولا هم اشد نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة
قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره
وفى هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد
واهله تلك بيمينك كقوله وهذا بعلى شيخا فى انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان يكون تلك اسما
موصولا صلته **وما تلك بيمينك يا موسى** بيمينك انما سأله ليريه عظم
ما يخترعه عز وعلا فى الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة
بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد
ويقول لك ما هى فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة صيرتها

الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد

قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها

على غنمي ولي فيها مارب اخرى

وقرا ابن ابي اسحق عصيّ على لغة

هذيل ومثله يا بشرى ارادوا كسر ما قبل يا المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرا

الحسن عصاي بكسر اليا لالتقا الساكنين وهو مثل قراة حمزة بمصرخيّ وعن ابن ابي اسحاق

سكون اليا اتوكا عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة هش الورق

خبطه اي اخبطه على روس غنمي تاكله وعن لقمان بن عاد

اكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع

والحمد لله من غير شبع

سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطايف كثير السدر وفي قراة النخعي

اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس بالسين اي انحى

عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصى كانه احس بما يعقب

هذا السوال من امر عظيم يحدثه الله فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان

ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وعلا ان يعدد المرافق

الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الاية العظيمة كانه

يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والماربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة وماربة

كنت تعتد بها وتحتفل بشانها وقالوا انما ساله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى

ويستكثرها

ليساله عن تلك المارب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة

وقيل في المارب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين

واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها

وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكسا واستظل واذا قصر رشاوه وصله بها وكان يقاتل بها

السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البير وتصير شعبتاه

دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت

وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الما فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام

قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى

السعي المشي بسرعة وخفة حركة فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان

والثعبان قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان

والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها

كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفرا دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد

بالجان اول حالها وبالثعبان مالها والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان

والدليل عليه قوله فلما راها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون

قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى

والجان

ذراعا

الجوهري وعرض العود على الاناء والسيف على فخذه يعرضه ويعرضه

لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن
ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم
انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه
ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة
حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب
على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى
عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث
حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول
ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما انشاناها اولا ونصب
سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا
عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قبل **واضمم يدك الى جناحك تخرج**
بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا
الكبرى لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا
الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران
والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص
كما كني عن العورة بالسوءة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى

ويجوز ان ينتصب سيرتها مفعولا معه والمحذوف العامل حال من سنعيدها ... سائرة سيرتها الاولى ... لا لان المتعلق المحذوف لا هذا

العرب فيهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا يرى احسن
ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء
كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك
وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه الآية ايضا
بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك
من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك **اذهب الى فرعون انه طغى**
قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج
معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره
ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر
الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه
وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فان قلت لي في قوله
اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم
الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما
فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري

ويسر امرى على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الاجمال والتفصيل
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي
عن ابن عباس كان في لسانه
رتة لما روى من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما
دعاه قال الى اى رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدى وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما
لم تبرا يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فينعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف
في زوال العقدة بكمالها فقيل بقى بعضها لقوله واخى هرون هو افصح منى لسانا وقوله ولا يكاد
يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه
ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني
انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة
للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني
واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي
الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان
الملك يعتصم برايه ويلجئ اليه اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس
ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير
وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس
بعزيز ونظرا الى يوازر وازر والموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية

بامر الوزارة اولى وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخى في الوجهين بدل من
هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن
قوله تعالى
اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
قرأوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي
مصحف ابن مسعود اخى واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن
قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخى مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون الازر
القوة وآزره قواه اى اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون
لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اى عالما باحوالنا وبان التعاضد
مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدى بانه اكبر منى سنا وافصح منى لسانا ع
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة
اخرى
السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول
اذ اوحينا الى امك ما يوحى
يوحى الى ام موسى اما ان يكون على
لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى
مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اى اوحينا اليها

أمر لا سبيل إلى التوصل إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل
به أي يوحى ما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى أن هي المفسرة لأن الوحي بمعنى القول

أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ
بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي
وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي

القذف مستعمل في معنى الإلقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف
في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا
أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت
فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم فإن قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك
الملقى إلى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت
حتى لا يفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي
ومراعاته أهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله وإرادته أن لا تخطى جرية ماء اليم الوصول
به إلى الساحل وإلقاءه إليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع
الأمر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا
فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر
كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي

أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ على أن البحر
ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله أي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل
إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة مني
لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق
بمحذوف هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها
فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك يروى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة
لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه
إذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي
ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله أي ولتصنع
فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ
ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك وتصرفك على عين مني قوله

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ
إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ
وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا

العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا
من إذ أوحينا فإن قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح

وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذى فتقول وانا لقيته اذ
ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم
يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل
ثديها ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت
له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم
بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب
اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين فتونا يجوز
ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور في حجرة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سال سعيد بن جبير
ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه
فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير
والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة

فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى
واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي
ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى

مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته عشر
وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضاي وقدري ان اكلمك واستنبيك في وقت بعينه قد وقته
لذلك فما جيت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبيا
وهو راس اربعين سنة وهذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال
من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصايص اهلا لئلا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف
محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن
على مكنون سره الا سواه ضميره الونى الفتور والتقصير وقرى تنيا بكسر حرف المضارعة
للاتباع اي لا تنسياني ولا ازل منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين
بذلك العون والتاييد معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر
تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على ساير العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان
جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل
سمع بمقبله وقيل الهم ذلك **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى**
وقرى لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك
فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم
بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل
لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل

كنّياه وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرّة والترجي لهما أي اذهبا على رجائكما
وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه
ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة ولو
أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك أي يتذكر ويتأمل
فيبذل النصفة من نفسه والإذعان للحق أو يخشى أن يكون الأمر كما يصفان فيجرّه إنكاره إلى الهلكة

قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ

فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل أي نخاف أن
يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يُفرَط من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة خافا أن
يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية
أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه
وقال الملأ من قوم فرعون وقرئ يُفرِط من الإفراط في الأذية أي نخاف أن يحول بيننا
وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة أو يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجل بناءً على ما عرفا وجربا من شرارته
وعتوه أو أن يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به
هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الأدب وتحاشٍ عن التفوه بالعظيمة

[illegible]

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ

معكما أي حافظكما وناصركما أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل ما يوجبه
حفظي ونصرتي لكما فجائز أن يقدّر أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لا يقدّر شيء وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر
سامع مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تمّ الحفظ وصحّت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو

فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَىٰ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ

كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة من الحفر والبناء
ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك بآية من ربك جملة جارية
من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها
التي هي المجيء بالآية إنما وحّد قوله بآية ولم يثنّ ومعه آيتان لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى
ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة
من ربكم فأت بآية إن كنت من الصادقين أولو جئتك بشيء مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم
خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين ه

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ

خاطب الاثنين ووجّه النداء إلى أحدهما وهو

موسى لأنه الأصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام
موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله
أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين

قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء
يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة
المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع
وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه
أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة
والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئاً غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة
للمضاف أو المضاف إليه أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه ثم هدى أي عرف
كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل إليه ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى
الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق

قال فما بال القرون الأولى

قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى

سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه
بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم
منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز
على الله أن يخطئ شيئاً أو ينساه يقال ضل الشيء إذا أخطأه في مكانه فلم يهتد له كقولك
ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله إذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك
من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة
الله بكل شيء وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم
وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط
به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد
الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة

الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً
وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى
كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى

الذي جعل مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومكان مهداً
قراءة أهل الكوفة أي مهدها مهداً أو يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي وسلك
من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها سبلاً
ووسطها بين الجبال والأودية والبراري فأخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم

المطاع لما ذكرت من الانشاء والايذان بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة لامره وتذعن الاجناس
المتفاوتة لمشيئته لا تمتنع شي على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السما ما فاخرجنا به نبات
كل شي الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض
وانزل لكم من السما ما فانبتنا به حدايق وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر مثل هذا ولا يدخل تحت
قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة
للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت
كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون
والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد
انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما تفضل عن حاجاتهم ولا يقدرون على اكله اي قايلين
كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع
بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها

منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى

اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم
عليه السلم منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة
فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يولف اجزاهم المتفرقة المختلطة بالتراب
ويردهم كما كانوا احيا ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق
بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك

يترددون فيها كيف شاووا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهايمهم وهي
اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال
رسول الله صلى الله عليه تمسحوا بالارض فانها بكم برة

ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى

اريناه بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها
وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل
هولا الا رب السموات والارض بصاير وفي قوله آياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذى بهذا
التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد
والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلم العصا واليد
وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى قد اراه
آياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه
وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيا منها وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق

قال اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى

يلوح من جيب قوله اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرايصه كانت ترعد خوفا مما جابه موسى
عليه السلم لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل
ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا

وعلى الوجه الثاني الاضافة سمى التعريف باللام الاستغراق
وعلى هذا معنى اريناه حملنا على الاراءة التي هي النظر ...
التي هي الاعلام والاخبار والمعنى المشترك فيه ...

لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر

فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا
نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى ۝ قال موعدكم يوم
الزينة وان يحشر الناس ضحى ۝ فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى

لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا
نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان يجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك
ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا
يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه
قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد
ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف **فان قلت** فكيف طابقه
قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان
قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة
في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن
فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز
ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه **فان قلت** فبم ينتصب

مكانا **قلت** بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر **فان قلت** كيف يطابقه الجواب
قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم
الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية
التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشورا ويوم النيروز ويوم
عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرى
نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرى سوى وسوى بالضم والكسر
ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستوا لان المسافة من
الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف
قرى وان تحشر الناس بالتا واليا يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان
يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله
موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك
اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على روس الاشهاد وفي
المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث
بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب ۝
وقد خاب من افترى ۝ فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى

لا تفتروا على الله كذبا اى لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم والسحت لغة
اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف فى بيت
لا يزال الركب تصطك فى تسوية اعرابه عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن
قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا
ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا فى السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان
لساحران فكانت نجواهم فى تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن
اتباعهما قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم
من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى
قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان
لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين النافية وبين المخففة من الثقيلة
وقرا ابى ان ذان الا ساحران وابن مسعود أن هذان ساحران هى لغة بلحرث بن
كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسما التى آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها يا فى الجر والنصب
وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره
لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل
حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرايل لقول موسى ارسل
معنا بنى اسرايل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف

طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه
فاجمعوا كيدكم ثم ايتوا صفا وقد افلح اليوم من
استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون
اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاجمعوا كيدكم يعضده
قوله فجمع كيده وقرى فاجمعوا كيدكم اى ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا
ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب فى صدور
الراين وروى انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة
وعن ابى عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه
صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ايتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم
من استعلى اعتراض يعنى وقد فاز من غلب ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه
خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاوك او القاونا وهذا التخيير منهم
استعمال حسن ادب معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطايهم النصفة من انفسهم
وكان الله تعالى الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلم اختيار القايهم اولا مع ما فيه من
مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم

السحرة

فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته
وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق فيها
أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع
بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى
فإذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى
على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الأصل والكسر إتباع
ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال قوله
أنها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي
مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على أن الله هو المخيل للمحنة والابتلاء
يروى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك

فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت
الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا
كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي السحرة
سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى إيجاس الخوف إضمار شيء منه
وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن

الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه إنك أنت الأعلى فيه تقرير لغلبته
وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو
وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها
أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدرة
الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أي لا تحفل
بهذه الأجرام الكثيرة الكبيرة فإن في يمينك شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء
وأنزر عندها فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستئناف أو على
الحال أي ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ها هنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله
تعالى تلقف ما يأفكون وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة
ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه
وبذاته أو بين الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه
وعلم نحو فإن قلت لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية
لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل إلى أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله ولا يفلح الساحر أي هذا
الجنس فإن قلت فلم نكر أولا وعرف ثانيا قلت إنما نكر من أجل تنكير المضاف لا من
أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج * في سعي دنيا طالما قد مدت * وفي حديث عمر
رضي الله عنه لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إن ما صنعوا كيد
سحري وفي سعي دنياوي وأمر دنياوي وأخروي حيث أتى كقولهم حيث سير وأية سلك

دنيوي

وإنما كان سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم
بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقائين وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا
الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي
يصيرون إليها في الجنة

قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم
الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف
ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا و
أبقى ۝ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي
فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا إنا آمنا
بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله
خير وأبقى ۝ إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيى ۝ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك
لهم الدرجات العلى ۝ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ۝ لكبيركم لعظيمكم

يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري
كما يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء ۝ وقرئ فلأقطعن ولأصلبن بالتخفيف
والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن
هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدئ وناشئ من
مخالفة العضو العضو لا من موافقته إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات
لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء
الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله
آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة
باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف
مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء ۝ والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم ۝ وقرئ
تقضى هذه الحيوة الدنيا ووجهها أن الحيوة الدنيا في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف
بإجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة ۝ روي أن السحرة يعني رؤوسهم
كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر
وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لأن الساحر إذا
نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه ۝ تزكى تطهر من أدناس الذنوب ۝ وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله
قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا

فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۝ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ
فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى

فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله
اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به
المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان
يكون مخففا عن اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا
كقوله ومعى جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب و
قرئ لا تخف على الجواب وقرا ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك
اى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلثة اوجه
ان يستانف كانه قيل وانت لا تخشى اى ومن شانك انك امن لا تخشى وان لا يكون الالف
المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله
فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله كان لم ترى قبلى اسيرا يمانيا
ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة
اى غشيهم ما لم يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشيهم من اليم ما غشيهم والتغشية
التغطية وفاعل غشيهم اما الله سبحانه وتعالى او ما غشيهم او فرعون لانه الذى
ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله سبحانه وتعالى وما هدى تهكم به في قوله
وما اهديكم الا سبيل الرشاد

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۝

يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا
منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول
اى قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول في القرآن كثير وقرئ انجيتكم الى رزقتكم
وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة
في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور
وكتب التورية في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم
ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من ساير نعمه وارزاقه

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ۝

طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو
والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها و
ان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا قرئ فيحل وعن عبد الله

لا تحل ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداوه ومنه قوله
تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف
بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت

هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبده
ويقولون هوت امه وسقط سقوطا لا نهوض بعده

وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم
اهتدى ۝ وما اعجلك عن قومك يا موسى ۝
قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى ۝

الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله
تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في
جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل
وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب
ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله وزل عنه
انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم
النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يا باه قوله

عجل بك

هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثرى بالضم وعنه اولى
بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال
اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان
الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز
موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب
العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه
فكان اهم الامرين الى موسى بسط عذره وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد
مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة
قريبة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب
فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله
فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام

قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري ۝

اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل
منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها
اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين
قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة

بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترض السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه
واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا قرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم
ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة
قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان
واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر

فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم
من ربكم فاخلفتم موعدي

الاسف الشديد الغضب ومنه قوله
عليه السلام في موت الفجاة رحمة للمومن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين فان قلت
متى رجع الى قومه قلت بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه
ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذاك واجمل حكي لنا انها كانت الف
سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم
يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم
عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل

قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك

١٦٧

القى السامري

بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا موعدك بان
ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا
احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم
في حكم المستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل
حينئذ فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ
حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ
حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا

فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم
واله موسى فنسي

فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي
التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات
قلت اما يصح ان يوثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من
الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته
حيوانا الا ترى انه كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع فان قلت فلم خلق الله
العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده
ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن
عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل

الامتحان اى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا
الهكم واله موسى فنسى اى فنسى موسى ان يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسى
السامرى اى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر

افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا

يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة
من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال

ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا
امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا
موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن
افعصيت امري

من قبل من قبل ان يقول لهم السامرى ما قال كانهم اول ما وقعت
عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامرى بادرهم
هرون عليه السلم بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعنى فى
الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر
الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا وما لك لم تلحقنى

قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان
تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي

قرى بلحيتى بفتح اللام وهى لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا
على الحدة والخشونة والتصلب فى كل شى شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون
عجلا من دون الله بعد ما راوا من الايات العظام ان القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة
العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال
العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اى لو قاتلت بعضهم
ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافى برايك وخشيت عتابك
على اطراح ما وصيتنى به من ضم النشر وحفظ الدهما ولم يكن لى بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها

قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا
به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك
سولت لي نفسي

الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن
يفعل شيا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرى بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم
تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له قرا الحسن قبضة بضم القاف وهى اسم المقبوض كالغرفة والمضغة

وأما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب
الأمير وقرأ أيضاً فقبصت قبصة بالصاد الضاد بجميع الكف والصاد بأطراف
الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه وقرأ ابن مسعود من أثر
فرس الرسول **فإن قلت** لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس **قلت**
حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب
به فأبصره السامري فقال إن لهذا لشأناً فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى
عن قصته قال قبضت من أثر المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل

قال فاذهب فإن لك في الحيوة أن تقول لا مساس
وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت
عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا

عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعاً كلياً
وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً
وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلاً أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان
يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجي إلى الحرم ومن الوحشي النافر
في البرية ويقال إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار

ونحوه قولهم في الظباء إن وردت الماء فلا عباب وإن فقدته فلا أباب وهي أعلام للمسة والعبة والأبة
وهي المرة من الأب وهو الطلب لن تخلفه أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد
في الأرض ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك
هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً قال الأعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا … فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر في لأهب لك ظلت
وظلت وظللت والأصل ظللت فحذفوا اللام الأولى ونقلوا حركتها إلى الظاء ومنهم من لم
ينقل لنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الإحراق
وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد وعليه القراءة
الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة
ثالثة وهي إبطال ما افتتن به وفتن وإهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين

إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما

قرأ طلحة الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علماً وعن مجاهد وقتادة
وسع ووجهه أن وسع متعد إلى مفعول واحد وهو كل شيء وأما علماً فانتصابه على التمييز وهو
في المعنى فاعل فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين فنصبهما معاً على المفعولية لأن المميز
فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمراً خوفت زيداً عمراً فترد بالنقل ما كان فاعلاً مفعولاً

قرأ

كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من
لدنا ذكرا ۞ الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله
اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار
الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر
في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على
هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن
اقبل عليه من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا ۞
خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ۞ ومن اعرض عنه فقد هلك
وشقي يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم
وقرئ يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد
الضمير في اعرض وما بعده للحمل فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير
الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه
تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب اي ايوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه
قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في لهم ما هي وبم يتعلق

قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر
قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فان قلت
فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم
واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيامة
حملا وذلك بعد ان تخرج من عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب
يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ۞
اسند النفخ الى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة
التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ
ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل
عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة
وفي الصور قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم
وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني
ان المراد العمي لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق
يتخافتون بينهم
إن لبثتم إلا عشرا ۞ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول
أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ۞ يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب

والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور
فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب
وان طالت مدته قصير بالانتها ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاك كفى بالانتها
قصرا واما لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها
بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله اذ يقول
امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم فسل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم يقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون وقال الذين اوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث **ويسلونك عن الجبال فقل
ينسفها ربي نسفا ۝ فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا ۝** ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما
يذرى الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله
ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر
في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستوا والملاسة ونفي الاعوجاج
عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون

البصرا من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته
ان يعرض استواها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر
ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس
الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس
لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت
**يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات
فلا تسمع الا همسا ۝** اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ
اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو
اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج
له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته اي خفضت الاصوات من
شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل
هو من هميس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر
**يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي
له قولا ۝ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**
من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي

لا ينفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضى
له لاجله اى اذن للشافع ورضى قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام فى قوله تعالى وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون

بمعلوماته علما **وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما**

المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب
صارت وجوههم عانية اى ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما راوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة و قوله وقد خاب وما بعده اعتراض
كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خايب خاسر **ومن يعمل من الصالحات**
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما

الظلم ان ياخذ من صاحبه
فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا توفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون ويسترجحون واذا كالوا اخسرون اى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم
وقرى فلا يخف على النهى **وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه**
من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا

وكذلك عطف على كذلك نقص اى ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد
انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك
المعاصى او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرى نحدث
وتحدث بالنون والتاء اى تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما فى قوله
فاليوم اشرب غير مستحقب **فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل**
بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما

فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجرى عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن
وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتان عليك ريثما يسمعك
ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك
به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان وقرى حتى نقضى
اليك وحيه وقوله رب زدنى علما متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم
اى علمتنى يا رب لطيفة فى باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندى فزدنى علما الى علم فان لك فى كل شى
حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة فى شى الا فى العلم
ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما

يقال فى اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف

سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا
اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك
من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت
الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه **فان قلت**
ما المراد بالنسيان **قلت** يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية
العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان
يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي
اي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس
الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض
العدم كانه قال وعدمنا له عزما **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**
فسجدوا إلا إبليس أبى اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى
عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد
ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من
اولي العزم والثبات **فان قلت** ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه
فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة **قلت** كان في صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم
فلما امروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما

كان من الجن

لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم وهو دونهم في المنزلة اوجب
حتى ان لم يقم عنف به وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام **فان قلت**
فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة **قلت** عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة
عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامراة بين الرجال ابى جملة مستانفة
كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول
عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط **فقلنا يا آدم إن**
هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة
فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ
فيها ولا تضحى فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند الى آدم وحده فعل
الشقاء دون حواء بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم
كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد
بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى آدم
ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه وقرئ وانك بالكسر والفتح ووجه
الفتح العطف على ان لا تجوع **فان قلت** ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن
ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها **قلت** الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما

لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والري
والكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه
مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها
التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى
السبب الموقع فيها كراهة لها

فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم
هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى

فإن قلت كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى قلت
وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات
وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن
الأعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه أنهى إليه الوسوسة
كقولك حدث إليه وأسر إليه أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه
كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي
وابن عباس رضي الله عنهم إلا أن تكونا ملكين بالكسر

فأكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى
آدم ربه فغوى

طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل كذا وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد

في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته
والدنو منه قرئ يخصفان بالتخفيف والتشديد من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي
يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت
أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف
الأصابع عن ابن عباس لا شبهة في أن آدم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة
وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لأن
الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الإطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل
وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة
بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم
حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ
الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط في الكبائر
وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا
فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طيء تفسير خبيث

ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى

فإن قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله
بعد التوبة وقربه إليه من جبى إلي كذا فاجتبيته ونظيره جليت علي العروس فاجتليتها
ومنه قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أي هلا جبيت إليك فاجتبيتها وأصل

الكلمة الجمع ويقولون اجتنب الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اى وفقه
لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى **قال اهبطا منها جميعا**
بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم منى هدى فمن اتبع هداى
فلا يضل ولا يشقى لما كان آدم وحوا عليهما السلم اصلى البشر والسببين اللذين
منهما نشاوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر فى انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ
الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو فى الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن
ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القران ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع
هداى فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقا فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق
الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال وعقابه
ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا
الضنك مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمونث وقرى ضنكى على فعلى ومعنى
ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح
وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول
عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن

عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم
عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة وباوا بغضب
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السما والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وقال
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ما غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم فى النار
وعن ابى سعيد الخدرى عذاب القبر وقرى ونحشره بسكون الها على لفظ الوقف وهذا مثل
قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى **قال كذلك**
اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى
كذلك اى مثل ذلك فعلت ثم فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر
ولم تبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاه عن عينك
وكذلك نجزى من اسرف ولم يومن بآيات ربه
ولعذاب الآخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين
المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره اعمى فى الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد
وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذى لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضى او اراد ولتركنا اياه

بالجزم عطفا على محل فان له معيشة
لانه جواب الشرط وقرى ونحشره

في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى
فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في
الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول
ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد أن قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون
في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاماً وأجل مسمى الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة يقول
لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عاداً وثمود لازماً لهؤلاء الكفرة واللزام إما مصدر لازم وصف
به وإما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم وأجل مسمى لا يخلو
من أن يكون معطوفاً على كلمة أو على الضمير في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين
له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى
بحمد ربك في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه المراد بالتسبيح

الصلوة أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولاً والأوقات على الفعل آخراً فكأنه قال صل لله قبل
طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار
بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصاً لها بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر
ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل إن ناشئة الليل هي
أشد وطأ وأقوم قيلاً وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ولأن الليل وقت السكون
والراحة فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل
في معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي أطراف النهار
صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى عند بعض المفسرين فإن قلت ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وإنما هما طرفان
كما قال أقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه أمن الإلباس وفي التثنية زيادة بيان
ونظير مجيء الأمرين في الآيتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ
وأطراف النهار عطفاً على آناء الليل ولعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات طمعاً ورجاء أن تنال
عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك
ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة
الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى
وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً

نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى

اى نظر عينيك ح

ولا تمدن عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا
ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم
اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك
مثل نظر من بادة الشى بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان
من ابصر منها شيا احب ان يمد اليه نظره ويملا منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اى لا تفعل ما انت معتاد له
وضار به ولقد شدد العلما من اهل التقوى فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة و[عدد] الفسقة فى اللباس
والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشيا لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى
لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على
منهم كانه قال الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب
زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى
اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على
تقدير ذوى زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه
وهو الزينة والبهجة كما جا فى الجهرة الجهرة وقرى ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر
وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفا الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبها زيهم و[شارتهم]
بخلاف ما عليه المومنون والصلحا من شحوب الالوان والتقشف فى الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى
يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم فى الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من

١٧٧

ثواب الآخرة الذى هو خير منه فى نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم
الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى
نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال
بعثنى رسول الله صلى الله عليه الى يهودى وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضنى الى رجب فقال
والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله انى امين فى السما وانى لامين فى الارض
احمل اليه درعى الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وامر اهلك بالصلوة اى واقبل انت مع اهلك على
عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفى
من عندنا ونحن رازقوك ولا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفى معناه
قول الناس من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا
راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن
عبد الله المزنى كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله ثم يتلوا هذه الآية

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ
الْأُولَى ۞ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا
لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ۞

اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم اولم تاتكم آية هي ام الآيات واعظمها
في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في ساير الكتب المنزلة ودليل صحته لانه
معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى
شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان
والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله

قل كل متربص فتربصوا فستعلمون
من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة
ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء والسوءى والسوي
تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من

القرآن الا طه ويس

سورة الانبياء عليهم السلام مائة واحدى عشرة آية

الجزء السابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون

هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي
رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب
فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب
الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير
ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عددت دون هذا
القول اكثر من خمسماية عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا
ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت
اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر و
اقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلم
بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء
واذا كانت بقية الشي وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف
بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على
بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم
غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون

ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم
يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا

قال صاحب النهاية في الحديث بعثت في نسم الساعة
... هو جمع نسمه اي بعثت في ذوي
ارواح خلقهم الله ... كانه قال في آخر
النشو من بني آدم قال الجوهري نسم الساعة اي حين
ابتدات واقبلت اوائلها ونسيم الريح اولها حين تقبل بلين

هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون

لما يرجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا
ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا
وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم
الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما
يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد
الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي عبلة محدث
بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرأ
لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل
وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم
وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم **فان قلت** النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية
فما معنى قوله واسروا **قلت** معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم
ولا يعلم انهم متناجون او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو
مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر
تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله
في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان
رسول الله صلى الله عليه لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو

ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به

ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون
انه سحر **فان قلت** لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه **قلت** كان ذلك شبه التشاور
فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين
في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه
قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه ويجوز ان
يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه

قل ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم

فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى **قلت** القول عام يشمل السر
والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول
يعلم السر كما ان قوله يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته
فكيف تخفى عليه خافية **فان قلت** فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض **قلت** ليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن
يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا
وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم ههنا انهم
اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة
وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم

الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه لهم

بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية

كما أرسل الأولون ۝ اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه قول شاعر وهكذا الباطل

لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج

الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث

صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات لان ارسال

الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة

ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ۝

افهم يؤمنون فيه انكار انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعهدوا انهم يؤمنون عندها

فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث

وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر

إن كنتم لا تعلمون ۝ امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان

رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا

يشايعون المشركين في معاداة رسول الله قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن

صلى الله عليه وسلم

الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاد يؤتهم فما هم فيه رد لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وما جعلناهم جسدا

لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ۝

لا يأكلون الطعام صفة

لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي

ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فان قلت

نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا

خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا

هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة

وبقاءهم الممتد خلودا

ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا

المسرفين ۝ صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه

ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة

لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ۝

ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم

تطلبون به الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين

وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو
الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما
آخرين لأن المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهي وسحول قريتان
باليمن ينسب إليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه في ثوبين سحوليين
وروي حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلط الله على أهل بيت
المقدس فاستأصلهم وروي أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السما يا لثارات الأنبياء ندموا
واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله
عنه ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية وكم قصمنا من

فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ۝ لا تركضوا
وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ۝

فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض
ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك ويجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين
منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم
بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فإن قلت من القائل
قلت يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقا بأن يقال

لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك
فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار
النعمة وهي الترفة لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون
غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا
واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ
فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين
المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم
في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم
والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا
أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا
إلى توبيخ

قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ۝ فما زالت تلك
دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ۝

تلك إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى
بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فإن قلت
لم سميت دعوى قلت لأن المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا وقتك
وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم

مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اى مثل الرماد والضمير
المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبهما جميعا على
المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم
الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى قوله ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود **لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا** مؤخر
إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ اى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما
من اصناف الخلايق مشحونة بضروب البدايع والعجايب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وساير
زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوايد الدينية والحكم الربانية ليكون مطارح افكار واعتبار
واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مقدم
ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفايه عن افعالي ان الحكمة صارفة عنه والا فانا
قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا
اى من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا اى من الملايكة لا من الانس
رد لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال
سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنايا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد

١٨٢

وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله
كانه جرم صلب كالصخرة مثلا **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ**
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ قذف به على جرم رخو
اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرى فيدمغه بالنصب وهو
في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقرى فيدمغه
وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً**
مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ومن عنده هم الملايكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم
منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت
الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت
في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان
يستحسروا فيما يفعلون اى تسبيحهم متصل دايم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل
آخر ام من ام المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها
والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى

بعض الموات. فإن قلت: كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القدم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا. قلت: الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار على الإبداء والإعادة. ونحو قوله من الأرض قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام لا إثبات السماء مكانا لله عز وجل. ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض. فإن قلت: لا بد من نكتة في قوله هم. قلت: النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم. وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر ونشر

الله الموتى ونشرها

صح

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله

رب العرش عما يصفون

وصفت آلهة بإلا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله. فإن قلت: ما منعك من الرفع على البدل. قلت: لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه. والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا. وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله. فإن قلت: لم وجب الأمران. قلت: لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف. وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول. وهذا ظاهر. وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر

م

لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه

م

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ

كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم اى وصفتم الله تعالى
بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحى وانكم لا تجدون كتابا
من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهى عنه متوعد
عليه اى هذا الوحى الوارد فى معنى توحيد الله ونفى الشركا عنه كما ورد على فقد ورد على جميع الانبيا
وقرى ذكر من معى وذكر من قبلى بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام
فى يوم ذى مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم
وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرى من معى ومن قبلى على من الاضافية فى هذه القراة وادخال الجار
على مع غريبة والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما
يدخل على اخواته وقرى ذكر معى وذكر قبلى كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد
كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل ومن هناك ورد هذا الانكار وقرى الحق بالرفع
على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز
ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل

بينه صح

فمن ثم جاء هذا الاعراض صح

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا
يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ
مُشْفِقُونَ

يوحى ونوحى مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها
من آى التوحيد نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر
عنهم بانهم عباد والعبودية تنافى الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندى مفضلون
على ساير العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست فى غيرهم فذلك هو الذى غر منهم من زعم
انهم اولادى تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرى مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته
فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيا حتى يقوله فلا يسبق قولهم
قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اى لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت
بفرسى فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبنى على امره لا يعملون عملا ما لم يومروا
به وجميع ما ياتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك
يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا
الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة فى ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله
مشفقون اى متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله تعالى

غرهم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله

ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك
نجزى الظالمين ۞ اولم ير الذين كفروا ان السموات
والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى
افلا يؤمنون ۞

وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجاه بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنفض اى كانتا مرتوقتين **فان قلت** الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق **قلت** هو على تقدير موصوف اى كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اى جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر **فان قلت** متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك

قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القران الذى هو معجز في نفسه فقام مقام المرئى المشاهد والثانى ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وتعالى وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شىء حى بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد منى وقرئ حيا وهو المفعول الثانى والظرف لغو اى كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لئلا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين

وجعلنا في الارض رواسى ان تميد بهم وجعلنا فيها
فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ۞

الفج الطريق الواسع **فان قلت** في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا **قلت** لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم **فان قلت** ما الفرق بينهما من جهة المعنى **قلت** احدهما الاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثانى بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة

وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون ۞

وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك
محفوظا حفظه بالإمساك بقدرته من أن تقع على الأرض وتتزلزل
يسبحون
أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانها من الملائكة عن آياتها
أي عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها
على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأي جهل أعظم من
جهل من أعرض عنها ولم تذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من
أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه إلا هو
عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس
أي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنياوية كالاستضاءة بقمرها والاهتداء
بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأمطارها وهم عن كونها آية تنبه على الخالق معرضون
كل التنوين فيه عوض من المضاف إليه أي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما
جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والأقمار
وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد وإنما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فإن قلت
الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فإن قلت كيف استبد بهما دون
الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك إذا جئت بصفة
تختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة
أو لا محل لها لاستئنافها فإن قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم

بقمريها

يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفا أي كل واحد
منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا لأن الغرض الدلالة على الجنس
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون
كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون
كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا
نخلد في الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء
وفي معناه قول الفرزدق
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
أي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب
ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وإنما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل
وجودهم لأنه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير
وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي
يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون
الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا
يذكرك فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم

الشماتة الفرح ببلية العدو يقال شمت به بالكسر شماتة صحاح

أوله
إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا

وقوله اهذا الذى يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم بما يجب ان
يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوؤهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان
يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك
محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن
انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة فى موضع الحال اى يتخذونك هزوا
وهم على حال هى اصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله

خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم
الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا
يستطيعون ردها ولا هم ينظرون كانوا يستعجلون عذاب

الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال
وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم
كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس

انه اراد بالانسان آدم وانه بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى لما دخل الروح
فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله فى آخر النهار يوم الجمعة
قبل غروب الشمس فاسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحرث والظاهر ان
المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل
والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان
الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره
ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرى خلق الانسان جواب
لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذى يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو
وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم
من وراء وقدام وهو رجوع على الغشاء
ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به
هو الذى هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين
لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على
الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم اى لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم تقال للمغلوب فى المحاجة
مبهوت ومنه فبهت الذى كفر اى غلب ابرهيم الكافر وقرا الاعمش باتيهم فيبهتهم على التذكير
والضمير للوعد او للحين فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث فى هذه القراءة قلت الى
النار او الى الوعد لانه فى معنى النار وهى التى وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى
الحين لانه فى معنى الساعة او الى البغتة وقيل فى القراءة الاولى الضمير للساعة وقرا الاعمش

بغتة بفجأة الغش ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اى لا يمهلون بعد طول الامهال

الامهال م

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ❁ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ❁ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ❁ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ❁

سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له فى الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اى من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالى وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالى ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلاهم ثم اضرب عن ذلك بما فى ام من معنى بل وقال ام لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام

الامنة الامن

دار الاسلام

فان قلت اى فائدة فى قوله نأتى الارض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدى المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة اطرافها

قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ❁ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ❁

ولا تسمع الصم م

قرى ولا يسمع الصم بالياء والتاء اى لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعا المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام فى الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اى هم على هذه الصفة من الجرأة والجسارة على التصام من آيات الانذار ولئن مستهم من هذا الذى ينذرون به ادنى شى لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا

واعرضوا في المس والنفحة ثلث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو
رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة

ونضع الموازين القسط ليوم
القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين

وصفت الموازين بالقسط وهو العدل
مبالغة كانها في انفسها قسط او على
حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر
ومنه النابغة
توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع
وقيل لاهل يوم القيامة اي لاجلهم **فان قلت** ما المراد بوضع الموازين **قلت** فيه
قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان
يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين
الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلم
سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملا كفته
حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة **فان قلت** كيف توزن الاعمال
وانما هي اعراض **قلت** فيه قولان احدهما توزن صحايف الاعمال والثاني تجعل في كفة
الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود مظلمة وقرى مثقال حبة
على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد اتينا بها وهي مفاعلة

من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرا حميد اثبنا بها من
الثواب وفي حرف ابي جينا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه

ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرى
للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة
مشفقون وهذا ذكر مبارك [انزلناه] افانتم له منكرون

اي اتيناهما الفرقان وهو التورية واتينا به ضيا وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه
ضيا وذكرا او واتيناهما بما فيه من الشرايع والمواعظ ضيا وذكرا وعن ابن عباس رضي
الله الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من
الشبهات وقرا ابن عباس ضيا بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر
ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح
او رفع عليه ذكر مبارك هو القران وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره

ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين
اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم [انتم] واباؤكم

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ
قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى
ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ

الرُّشْدُ الاهتداءُ لوجوه الصلاح قال الله تعالى
فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رَشَده والرُّشْدُ والرَّشَدُ كالعُدْمِ والعَدَمِ
ومعنى اضافته اليه انه رشدٌ مثله وانه رشدٌ له شأن من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به
انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهّله لمخالّته ومخا لصه
وهذا كقولك في خيرٍ من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف
بمنزلٍ اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله
ما هذه التماثيل تجاهلٌ لهم وتغابٍ ليحقّر آلهتهم ويصغّر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها
لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها
فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنامٍ لهم قلت لو قصد
التعدية لعدّاه بصلته التي هي على ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهانٍ وما اعظم كيد
الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفّروا لها جباههم
وهم معتقدون انهم على شيءٍ وجادّون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى
اهل التقليد سبّةً ان عبدة الاصنام منهم انتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان
العطف على ضميرٍ هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك اراد ان المقلِّدين والمقلَّدين

جميعا

جميعا منخرطون في سلك ضلالٍ لا يخفى على من به ادنى مسكة لاسناد الفريقين الى غير دليلٍ بل الى
هوى متبعٍ وشيطانٍ مطاعٍ لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم
وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي
جئتنا به هو جدٌّ وحقٌّ ام لعبٌ وهزلٌ الضمير في فطرهنّ للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل
ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها
كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابيّن ذلك وابرهن عليه كما تبيّن الدعاوى بالبينات
لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا
على انكم وجدتم عليه آباءكم

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ
فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا
مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى
يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ
بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ

قرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالله وقرئ تَوَلَّوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين

فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة
منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان
امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن
نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسرا
روى ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا
بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم
فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الراس وكان من ذهب
وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس
في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من
الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير
لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم
بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم
يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا
والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم
في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس
حال من يسجد له ويؤهله للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل فان قلت فاذا رجعوا الى
الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه

حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع
ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم اى ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود
في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في حطمها
وتماديا في الاستهانة بها فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واى فرق بينهما قلت
هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وسكت حتى
تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر
مبتدا محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل
الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على
قلت هو وارد على طريق المثل اى يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على
المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له
روى ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف
هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد
ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره
لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا
كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا
وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان
قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان

ابانة والامر داير بينهما للعاجز منهما استهزاء به واثبات للقادر ولقايل ان يقول غاظته
تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم
له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى الحامل
عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم
فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم
هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرا محمد بن السميفع فعله كبيرهم
يعني فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم

فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم
الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا
يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون

فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه
حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين نكسه قلبه فجعل اسفله اعلاه وانتكس انقلب
اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة
فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هولاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق الهة
معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة

على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابراهيم
فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرى نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اى نكسوا
انفسهم على رؤسهم قرابه رضوان بن عبد المعبود اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه
متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل
فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اى لكم ولالهتكم هذا التافف اجمعوا انهم لما غلبوا باهلاكه
وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع
الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة

قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا
يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا
فجعلناهم الاخسرين

والذي اشار بالحراقة نمرود وعن ابن عمر رضي الله
عنه وعن اسه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد

وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف
الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم
اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا
مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلم يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه
الا وثاقه وقال له جبريل عليه السلم حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال

فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم
الوكيل واطلع عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملئكة فقال اني
مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة
سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب
بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا
فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا
النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها
فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن
ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس
لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها فان قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع
الله عنها طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال
كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها
ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم واردوا ان
يكيدوه ومكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت
وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه نجيا من العراق الى الشام

طبعها الذي ح

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ
نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر
والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفين انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد
يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت صخرة التي ببيت المقدس روي
انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة والنافلة ولد الولد وقيل سال اسحق
فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون
قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها
واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل فعل
الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة حكما حكمة

ثم فعلا الخيرات ح

وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ
فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ

حكما حكمة وهو ما عم فعله او فصلا

من الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم اى فى اهل رحمتنا او فى الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى ارحم بها من اشاء

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝

من قبل من قبل هؤلاء المذكورين هو نصر الذى مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق
اللهم انصرهم منه اى اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه

وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ
الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ
وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ
وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ
لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝

اى واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين
اليهما وقرئ لحكمهما والضمير فى ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود

بالغنم

بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه
ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى
ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك
فان قلت احكما بوحى ام باجتهاد قلت حكما جميعا بالوحى الا ان حكومة داود
نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فان قلت
ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت
بجنايتها الى المجنى عليه كما قال ابو حنيفة فى العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه
وعند الشافعى رضى الله عنه يبيعه فى ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى
الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من
غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر
والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعى رضى الله عنه فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن
القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا
فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما حكمها قلت ابو حنيفة رضى الله عنه
واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعى رضى الله عنه
يوجب الضمان بالليل وفى قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفى قوله
وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف
كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه

فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة
وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق • روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه
وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان
يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من راها
تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل
هذا وان كان عجبا عندكم وقيل كنا نفعل مثل ذلك بالانبياء اللبوس اللباس قال البس
لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود
فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها
فالنون لله تعالى والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود او للبوس

وَلِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِاَمْرِهِ اِلَى الْاَرْضِ الَّتِي
بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ۝ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ
مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ۝

الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال
فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما
قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا امرت بكرسيه ابعدت به في مدة
يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها
وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمن وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم آية الى آية ومعجزة
مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط
علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار
فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المداين والقصور
واختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم
ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي

وَاَيُّوبَ اِذْ نَادَى رَبَّهُ اَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَاَنْتَ اَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَاٰتَيْنَاهُ
اَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرٰى لِلْعَابِدِينَ ۝

اي ناداه باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر
بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق
المعنيين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة
ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا امير المومنين
مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود

ومثلهم معهم رحمة كان أيوب عليه السلم روميا من ولد إسحق بن يعقوب عليهم السلم وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبع بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا أي لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ

وقيل في ذي الكفل هو إلياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو اسمين إسرائيل ويعقوب إلياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد صلوات الله عليهم أجمعين

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ

النون الحوت فأضيف إليه يونس مغاضبا لقومه لطول ما ذكرهم فلم يتذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته وخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن نقدر عليه بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن فقرأ هذه الآية وقال أويظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات

اى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات
وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته
حوت اكبر منه فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر اى بانه لا اله الا انت او بمعنى اى
عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه
والله الا اقراره على نفسه بالظلم ننجى وننجّى والنون لا تدغم فى الجيم ومن تمحل لصحته
فجعله فعل وقال نجى النجاء المومنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المومنين بالنجا فمتعسف بارد التعسف فاسكن

وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين

سأل ربه ان يرزقه
ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين
اى ان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة
للولاد بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير فى انهم للمذكورين
من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم
فى تحصيلها كما يفعل الراغبون فى الامور الجادون وقرى رغبا ورهبا بالاسكان وهو

كقوله يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد
الخشوع الخوف الدايم فى القلب وقيل متواضعين وسيل الاعمش فقال اما انى سالت
ابرهيم فقال الا تدرى قلت افدنى قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فلير الله منه
خيرا لعلك ترى انه ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطى راسه

والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين

احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قال ولم يمسسنى بشر
ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيايه قال الله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحى اى احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال
لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها
ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت فى بيت فلان اى نفخت فى المزمار فى بيته ويجوز ان يراد
وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ فى جيب درعها
فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل ايتين كما قيل وجعلنا الليل والنهار ايتين
قلت لان حالهما بمجموعهما اية واحدة وهى ولادتها اياه من غير فحل

ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون

فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا

له كاتبون

الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اى ان ملة
الاسلام هى ملتكم التى يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون
عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم
على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثانى مبتدا و
الخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات
كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب
هولاء فى دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما تتوزع الجماعة الشىء وتتقسمه
فيطير لهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هولاء ولذلك نصيب
الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل فى حرمان الثواب كما ان
الشكر مثل فى اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفى الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر
سعيه وانا له كاتبون اى نحن كاتبوا ذلك ومثبتوه فى صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير السعى
ضائع ومثاب

وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون

عليه صاحبه

حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب

ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة

ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا

بل كنا ظالمين

استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا ان
الله حرمهما على الكافرين اى منعهما منهم وابى ان
يكونا لهم وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على
اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز
الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم
القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعنى
انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب الاليم
وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل
وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور فى الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعى
المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة
بالفتح يصح حملها على هذا اى لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت
بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلاث هى قلت هى متعلقة بحرام وهى غاية
له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهى حتى التى يحكى بعدها الكلام و
الكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء اعنى اذا وما فى حيزها حذف المضاف الى ياجوج
وماجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل
اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء

تسعة منها ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج ج
يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرا ابن عباس من كل جدث وهو
القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع و
واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم
يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي
شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا
يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۝ وَ
كُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ

بما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم في حكم عبدتهم وصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد
وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثماية وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن
الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون
من دون الله الاية فاقبل عبد الله ابن الزبعرى فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد

ابن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته
فدعوه فقال ابن الزبعرى اانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة
اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم الاية يعني عزيرا والمسيح والملائكة **فان قلت** لم قرنوا بالهتهم **قلت**
لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه
العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الاخرة ويستنفعون بشفاعتهم
فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم **فان قلت** اذا
عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير **قلت** اذا كانوا هم واصنامهم
في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم
الالباس والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود رضي الله
عنه يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ

الملئكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون

الحسنى الخصلة المفضلة فى الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب
واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضى الله عنه قرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر
وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام
يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذى يحس والشهوة طلب النفس
اللذة وقرى لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ فى
الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك
حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اى تستقبلهم الملئكة
مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم قد حل

يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين

العامل فى يوم نطوى لا يحزنهم او الفزع او تتلقهم وقرى تطوى السماء على البناء للمفعول
والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة اى كما يطوى
الطومار للكتابة اى ليكتب فيه او لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى
كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا
اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذى يفسره نعيده والكاف مكفوفة

بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء
فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه **قلت** اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده
اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم **فان قلت** ما بال خلق منكرا **قلت** هو كقولك هو اول
رجل جاءنى تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا وكذلك معنى اول
خلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل
مضمر يفسره نعيده وما موصولة اى نعيد مثل الذى بداناه نعيده واول خلق ظرف لبداناه
اى اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى وعدا مصدر مؤكد
لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اى قادرين على ان نفعل ذلك

ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادى الصالحون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين

وعن الشعبى رحمه الله زبور داود والذكر التورية وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من
الكتب والذكر ام الكتاب يعنى اللوح اى يرثها المومنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق ومغاربها قال موسى عليه السلم لقومه استعينوا بالله واصبروا ان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هى ارض الجنة وقيل الارض
المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم الاشارة الى المذكور فى هذه السورة من
الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية

١

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الى
انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا
فقل اذنتكم على سواء وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون

ارسل صلوات الله عليه رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف
ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة
فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين
المتفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث
حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به
عذاب الاستيصال انما تقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما
يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد
وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحى
الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية
يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فيكون ما موصولة اذن منقول
من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجرى مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله
ورسوله وقول ... اذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم

١

عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه
وبين اعدائه هدنة فاحس بغدرهم فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه واذنهم جميعا بذلك
على سواء اى مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا
عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم
بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادرى متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه

انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادرى لعله
فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن
المستعان على ما تصفون

والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به
من كلام الطاعنين في الاسلام وما تكتمونه
في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادرى لعل تاخير هذا الوعد امتحان
لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه
حكمة قرى قل وقال حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة
ورب احكم على الضم وربى احكم على افعل التفضيل وربى احكم من الاحكام امر باستعجال
العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك
على مضر قرى يصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون
ان يكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله صلعم والمؤمنين وخذلهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي
ذكر اسمه في القران صدق رسول الله

سورة الحج مكية ثمان وسبعون آية غير ست آيات

نصف الجزء

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع
كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم
بسكرى ولكن عذاب الله شديد

الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان تضاعف زليل الاشياء عن مقرها ومراكزها ولا تخلو
الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشيا على المجاز الحكمي فتكون
الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف و
اجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت
الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع
الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة (لينظروا)
الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك
اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع

الا ان يبرد وابرد وروي ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج
عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر
يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة
والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت
المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر
الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت
الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته
وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام
قرئ وترى بالضم من اريتك قائما (او رأيتك قائما) والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل
الناس اسم ترى وانثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في
جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى
بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم
من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر
بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت
لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل
الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم

او رأيتك قائما صح

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ۝ كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ۝

قيل نزلت في نضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال

وبارت متقنو الخطي من قومه طريق نجاة عندهم مستو نهج
ولو قرأوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول

يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ۝ ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير ۝

الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة

الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود
اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة
منها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم
وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب
بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون
في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه
ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ
ونقر ونخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء
اذا صبه والقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى
وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ
اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم
مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر
حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم
وحد لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل
والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها

شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى
في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات
الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى
يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو
العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها ولكونها مشا
معاينة كررها الله في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي
ارتفعت والبهيج الحسن السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع
ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه
لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل
مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده **وأن الساعة آتية لا ريب**
فيها وأن الله يبعث من في القبور ۞ وانه حكيم لا يخلف
ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير ۞ **ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا**

خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك
بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أبو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت ساير الأقاصيص
وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال
والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلثة
وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر
وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء
وفتحها **فإن قلت** ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان
أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال **قلت** لما أدى جداله
إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال
بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل
والسبب فما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته
الفجار وإثابته

ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه
للصالحين
خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه
خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال
البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس
العشير

على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم
على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي
يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه
قالوا نزلت في أعارب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن
وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود
أسلم فأصابته مصايب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام
لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما يسخط الله جامع على نفسه
محنتين إحداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسر الدارين وقرئ
خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ محذوف استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في
ضلال التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته **فإن قلت** الضر والنفع منفيان عن
الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض **قلت** إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن
الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع
به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام
ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره أقرب من نفعه

او كرر كأنه يدعوا كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره

لبئس المولى ولبئس العشير

وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف

عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات

تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد من كان

يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب

إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ

هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه

واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه

وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا

الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه

وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله

كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به

محسوده وانما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة

وليصعد عليه فليقطع الوحي ان نزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم

يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون

ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته

ولا بد للعبد من الرضاء بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام

فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا

وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد

اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به الذين

يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى

والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم

القيامة إن الله على كل شيء شهيد

الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت

ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن

جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين

والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض

والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير
من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله
فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء سميت مطاوعتها
له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها
بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فإن
قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى
الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم
إلى من في الأرض من الإنس والجن أولا فإسناده إلى كثير منهم آخرا مناقضة قلت
لا أنظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل
عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو
ظاهر معنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على
معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه
وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس
على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير
على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب و
قرئ حق بالضم وقرئ حقا أي حق عليهم العذاب حقا ومن أهانه الله بأن كتب عليه

الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء
بمعنى الإكرام إنه يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين
هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت
لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به
ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد
كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها
وذوقوا عذاب الحريق الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق
فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان
مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا
ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع إلى
أهل الأديان الستة في ربهم أي في دينه وصفاته وروي أن أهل الكتاب
قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق
بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تر كمومه
كتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة
المعني بقوله تعالى إن الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر
وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم

كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب
الظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس
لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة
اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاهم واحشاهم
كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث
لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها وقرا الاعمش ردوا فيها والاعادة
والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى
الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا
بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ
لُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى
صِرَاطِ الْحَمِيدِ ۝

يحلون عن ابن عباس من حليت المراة فهي حال ولؤلؤا بالنصب
على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولؤا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين
ثم بقلب الثانية ياء كادل ولول كادل فيمن جر ولولو ولوليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس و
هداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ
وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝

يقال فلان يحسن الى الفقراء ويعين المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود
الاحسان منه والعشه في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود
منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وطاري
ومكي وافاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه قائلين ان المراد بالمسجد الحرام
مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي رضي الله عنه لا يمتنع ذلك وقد حاور
اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار مالكيها او غير مالكيها
واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص
والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد
وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد
بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا
عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد
والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار
وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما

في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله في الحل فقيل له فقال كنا نحدث أن من الإلحاد
فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من أتى فيه إلحادا
وعن الحسن ومن يرد إلحاده بظلم أراد إلحادا فيه فأضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه
من يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا
ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك
وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا
وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ۞ وأذن
في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق ۞ واذكر حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع إليه
للعمارة والعبادة رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فأعلم الله إبراهيم صلوات الرحمن عليه مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله
فبناه على أسه القديم وأن هي المفسرة فإن قلت كيف يكون النهي عن الشرك والأمر
بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل
تعبدنا إبراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الأصنام والأوثان والأقذار أن تطرح
حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة وأذن في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء
بالحج أن يقول حجوا أو عليكم بالحج وروي أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم

وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا
مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن
ابن عباس رضي الله عنهما وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كأنه قال رجالا وركبانا
يأتين صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد و
قرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا منافع لهم و
يذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من
بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ۞
نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنياوية لا توجد في غيرها
من العبادات وعن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج
على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل
الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب
به إلى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله
على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام لم ير شيئا من ذلك الحسن والروعة
الأيام المعلومات أيام العشر عند أبي حنيفة رضي الله عنه وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه
هي أيام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر
والضأن والمعز الأمر بالأكل منها أمر إباحة لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم

ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب
الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي وقال فيه
إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا
البائس الذي أصابه بؤس أي شدة والفقير الذي أضعفه الإعسار

ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت
العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند
ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا
الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور

قضاء التفث
قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء إزالة التفث
وقرئ وليوفّوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم
وليطوفوا طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل
طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن
وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم
يملك قط وعن مجاهد أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فإن
قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن

به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل
ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني
ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى
بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا
فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى
يحل فهو خير له أي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها
المتلو لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت
عليكم الميتة والمعنى أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده وإياكم
أن تحرموا مما أحل شيئا كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم كإحلالهم
أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان
وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا وجمع الشرك
وقول الزور في قران واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه
قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح
والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه
يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة
ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس
مجتنب من الأوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عشرون من الدراهم لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء

وسمى الأوثان

كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من
افكه اذا صرفه وقول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور
عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلى هذه الآية وقيل
الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك

حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان
سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى
البيت العتيق

يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب
والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس
بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به
الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي
ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح
به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرى فتخطفه وبكسر الخاء

٢١٣

والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرى الرياح تعظيم الشعائر
وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس فقد كانوا
يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة • وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما
انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا
فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب • وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد
ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى
القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا
بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى
التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في ساير الاعضاء • الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها
ويوكل منها • وثم للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما
يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة واعظم هذه المنافع وابعدها
شوطا في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا
بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع
قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده • وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها
الى البيت العتيق يأباه

ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله

عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا
وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ
عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞

شرع الله تعالى لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن
يذكر اسمه تقدست أسماؤه على المناسك وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك
والمكسور يكون بمعنى الموضع • فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أي خالصا
لا تشوبوه بإشراك • المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الأرض • وقيل هم الذين لا
يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا • وقرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون • وقرأ ابن مسعود
والمقيمين الصلوة على الأصل

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ
فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا
فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞

البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الإبل
خاصة ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألحق البقر بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الإبل صارت البدنة في
الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة رضي الله عنه وأصحابه وإلا فالبدن هو الإبل وعليه تدل

الآية • وقرأ الحسن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن أبي إسحق بضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ
بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه • من شعائر الله أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله وإضافتها
إلى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع
بشهادة الله • عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فقال سمعت ربي
يقول لكم فيها خير • وعن ابن عباس دنيا وآخرة • وعن إبراهيم من احتاج إلى ظهرها ركب ومن احتاج إلى
لبنها شرب وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك • وقوله
صواف قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن • وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن تقوم على ثلاث
وتنصب الرابعة على طرف سنبكها لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث • وقرئ صوافي أي خوالص
لوجه الله • وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الإطلاق عند الوقف • وعند بعضهم
صوافْ • نحو مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء • وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من
وجب الحائط وجبة إذا سقط ووجبت الشمس جبة ووجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الأكل
منها والإطعام القانع السائل من قنعت إليه وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع
وقانع وكنعت إذا خضعت له وسألته قنوعا • والمعتر المعترض بغير سؤال أو القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المعترض بالسؤال • وقرأ الحسن والمعتري و
وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى واستحمد إليهم منّ الله على عباده بأن سخر لهم البدن مثل التسخير
الذي رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للأخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في
لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك
سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم وبشر المحسنين
ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور

اى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى
لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل
ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم يغن عنهم التضحية
والتقرب وان كثر ذلك منهم وقرى لن تنال ولكن تناله بالتاء وقيل كان اهل الجاهلية
اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت
كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان
تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته
لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون
اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من
يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ

اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على
نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان

يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله
كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور

ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة
يقاتلون عليه بانهم ظلموا اى بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو
مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه
فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهى اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه
في نيف وسبعين اية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم
والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين
امنوا يؤذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اى بغير موجب سوى التوحيد
الذى ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا
بالله دفع الله بعض الناس ببعض باظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى
المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى

بيع ولا للرهبان صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون في أمة محمد صلى الله
عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع و
لهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا
من ينصره أي ينصر دينه وأولياءه هو إخبار من الله تعالى على ظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي
الله عنهم إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمن رضي الله عنه
هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة
أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ
في ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله
من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا ولله عاقبة الأمور أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد
لما وعده من إظهار أوليائه **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ**
وإعلاء كلمتهم
نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ
وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدي في التكذيب فقد
كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة فإن قلت لم قيل وكذب موسى
ولم يقل وقوم موسى قلت لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما
ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
النكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا

فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ
~~النكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة~~ وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع
أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط أو الخالي
من خوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى
أنها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها
ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها أي قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض
فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة فإن قلت
ما محل الجملتين من الإعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الأولى في محل النصب على الحال و
الثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله
ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك
أهلها والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر
مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع
أوجه وروي أن هذه بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب

وسلامتها وإما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها صح

وهي بحضرموت وإنما سميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها
قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله إليهم
حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم ثم لم يسافروا
حثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا
ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء أي يعقلون
ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فإنها الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء
مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فإنه ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الأبصار وفي تعمى راجع إليه
والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى
بالإضافة إلى عمى القلوب فإن قلت أي فائدة في ذكر الصدور قلت الذي قد تعورف
واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب
استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار
احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول
ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك و
تثبيت لأن محل المضاء هو هو لا غير فكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا
مني ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمدا

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ
وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ

أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت
وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو
بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحدا عنده
كألف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف
سنة من سنيكم لأن أيام الشدائد مستطالة أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سني
العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال وقرئ تعدون بالياء والتاء ثم قال وكم من
أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إلي وإلى حكمي فإن قلت
لم كانت الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الأولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان
نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله ولن يخلف الله وعده وإن
يوما عند ربك كألف سنة

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ فَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا
فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

يقال سعيت في أمر فلان
إذا أصلحه أو أفسده بسعيه وعاجزه سابقه لأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق
فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا
وأساطير ومن تثبيط عنها سابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم

قال ملك

كان القياس أن يقال إنما أنا لكم بشير ونذير قلت الحديث مسوق إلى المشركين وإنما ذكر
لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم

من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرأها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها أي وسوس إليه بما شيعها (شفاعتهم) به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان

من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وإيقانا والمعنى أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك إرادة امتحان من حولهم والله سبحانه وتعالى له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وأنشد

تمنى كتاب الله أول ليلة تمني داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق إشارة إلى الملائكة أي هم الشفعاء لا الأصنام فينسخ ما يلقي الشيطان أي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله تعالى آياته أي يثبتها

ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد

والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وإن الظالمين يريد وإن هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم

وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم

أنه الحق من ربك أي ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى أن يتأولوا ما تشابه في الدين بالتأويلات

الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا يلحقهم
حرج ولا يعترضهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين امنوا بالتنوين

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم ۝ الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ۝ والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين

الضمير في مرية منه للقران او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان
اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب
فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ
مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة
وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة كانه قيل حتى تاتيهم الساعة
او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير **فان قلت** التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب
قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
حتى تاتيهم الساعة

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ۝ ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ۝ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ۝

لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات
منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم
حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك
كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله تعالى هاتين الايتين تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة
له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة
فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع **قلت** المعاقب مبعوث من جهة الله
تعالى على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله
المدح ان اثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله
تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله
لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو
وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو
ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا
القادر على ضده

اي حلم الله تعالى على العفو وندبه اليه

ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون
من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير

ذلك
أى ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار والنهار في الليل
أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على أيدى عباده من الخير و
الشر والبغى والإنصاف وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فإن قلت ما معنى إيلاج أحد
الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك
في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضىء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في أحدهما
ما ينقص من الآخر من الساعات • وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وأن ما يدعون بلفظ
المبنى للمفعول والواو راجعة إلى ما لأنه في معنى الآلهة

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله
لطيف خبير له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو
الغني الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك التي
تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه

إن الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم إن الإنسان لكفور

أى ذلك الوصف بخلق الليل
والنهار والإحاطة بما يجرى فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت الإلهية
وأن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لا شىء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا قرئ مخضرة ذات
خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فإن قلت هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع قلت
لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علىّ فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا
له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فإن قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام
قلت لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك
ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وإن رفعته فأنت مثبت
للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله لطيف واصل
علمه أو فضله إلى كل شىء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم • ما في الأرض من البهائم مذللة للركوب في البر
ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات • وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء • أن تقع
كراهة أن تقع إلا بمشيئته • أحياكم بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود

لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك
في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك
فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة

فيما كنتم فيه تختلفون ۞ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء
والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ۞

لما أفاض عليه من ضروب النعم هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تلتفت إلى قولهم
ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في
الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين
وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة • وقال
الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل
الذي لا يكون إلا بين اثنين في الأمر في أمر الدين وقيل في أمر النسائك • وقرئ فلا ينزعنك أي اثبت
في دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله لا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين
فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى
ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب فإن قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة
بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في
أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا أي وإن أبوا اللجاج بعد
إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وقبحها
وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم
خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه

مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث
في السماوات والأرض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يسير
لأن عالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلقه بمعلوم

ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم
به علم وما للظالمين من نصير ۞ وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر
من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ۞

ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم إليها علم ضروري
ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع من
التجهم والبسور أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش وقرئ
النار بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار أي هو النار وبالنصب على
الاختصاص وبالجر على البدل من بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم
من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استئناف كلام ويحتمل أن يكون النار
مبتدأ ووعدها خبرا وأن يكون حالا عنها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار قد

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون
الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا
الله حق قدره إن الله لقوي عزيز • فإن قلت الذي جاء به ليس بمثل
فكيف سماه مثلا قلت سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا
تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم • قرئ تدعون بالتاء والياء
ويدعون مبنيا للمفعول لن أخت لا في نفي المستقبل إلا أن لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده هاهنا الدلالة
على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا فإن قلت ما محل
ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم
جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة
على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها
والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله وأذله و
وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق
الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب
كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف لأن الذباب حيوان وهو
جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس رضي الله عنه أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها

بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله • ما قدروا الله حق قدره أي
ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه
شريكا له إن الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به • هذا رد لما أنكروه من أن
يكون الرسول
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع
بصير • يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع
الأمور • يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون • هذا رد لما أنكروه من
أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر أنه عز وجل دراك
للمدركات عالم بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية وإليه مرجع الأمور كلها والذي
هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله
للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين أولا
إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث
على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون
صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله تعالى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وافعلوا الخير صلة الأرحام ومكارم الأخلاق لعلكم تفلحون

اى افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم • وعن
عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراها
وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه وعن ابيه فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رضي الله عنه
فراى سجدتين في سورة الحج • وابو حنيفة رضى الله عنه واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة
لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة

وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل
عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم
المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم
وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير

وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر • عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من جهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر • في الله اى
في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم اى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده **فان قلت**
ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله
قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه

مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه • ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما
وعامرا • اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته • ما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين
وفسح بانواع الرخص وبالكفارات والديات والاروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر • وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة
بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد **فان قلت**
لم يكن ابرهيم صلوات الرحمن عليه ابا للامة كلها **قلت** هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده • هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم صلوات الله عليه
ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب رضى الله عنه سماكم من قبل وفي هذا اى ومن قبل القران في ساير
الكتب وفي القران اى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم
وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به
ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر •• عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من
حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى • صدق الله وصدق رسول الله
حامدا لله ومصليا على رسوله • تم الربع الرابع من كتاب
الكشاف ويتلوه الربع الخامس سورة المؤمنين • في سنة تسع و
تسعين وستمائة • على يد المفتقر الى الله حسين بن عبد الله بن حسني الطي
صانها الله تعالى